موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي



ندوات تلفزيونية

قناة المنار

www.nabulsi.com info@nabulsi.com

ندوات تلفزيونية - قناة المنار - الدرس (1-5) : حقيقة العبادة ، تعريفها وأقسامها ومستوياتها
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 01-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام مثلث مقطع إلى أربعة أقسام ؛ العقائد و العبادات و المعاملات و الآداب :

أيها الأخوة ، إن صحّ أن الإسلام مثلث ، مقطع إلى أربعة أقسام ، فالقسم الأول هو العقائد ، وأخطر ما في الدين العقيدة ، فإن صحت صحّ العمل ، وإن فسدت فسد العمل ، والقسم الثاني العبادات ، والقسم الثالث المعاملات ، والقسم الرابع الآداب ، فما العبادات ؟

العبادات أيها الأخوة ، حتى نفهما على حقيقتها لابدّ من مثل :

إنسان سافر إلى بلد ، نزل في أحد الفنادق ، وفي صبيحة اليوم الأول سأل : إلى أين أذهب ؟ نسأله نحن : لماذا أتيت إلى هنا ؟ إن جئت طالب علم اذهب إلى المعاهد والجامعات ، وإن جئت سائحاً اذهب إلى المقاصف والمتنزهات ، وإن جئت تاجراً اذهب إلى المعامل والمؤسسات .

ماذا يعني هذا الكلام ؟ يعني هذا الكلام أنه لا تصح حركتك في مكان ما إلا إذا عرفت سرّ وجودك ، وغاية وجودك ، لو أردنا أن نكبر هذا المثل ، لماذا نحن في الأرض ؟ ما سرّ وجودنا ؟ وما غاية وجودنا ؟ إذا عرفنا سرّ وجودنا وغاية وجودنا تصح حركتنا .

العبادةعلة وجودنا :

لذلك لو فتحنا القرآن الكريم لقرأنا هذه الآية :

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

(سورة الذاريات)

فعلة وجودنا العبادة ، العبادة بأوسع معانيها ، قد يتوهم المسلمون أن العبادة أن تؤدي الصلاة ، والصيام ، والحج ، والزكاة ، وانتهى كل شيء ، نقول لم ينتهِ كل شيء ، العبادة منهج تفصيلي ، يبدأ من اشد العلاقات خصوصية ، يبدأ من فراش الزوجية ، وينتهي بالعلاقات الدولية .

إذاً العبادة منهج تفصيلي من عند الخالق ، من عند الخبير ، من عند العليم ، من عند الرحيم ، من عند القوي ، من عند الغني ، منهج جاءنا من وحي السماء .

معرفة الله أصل الدين :

لذلك حينما قال الله عز وجل

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)

من أدق تعريفات العبادة أنها طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية .

هذا التعريف الدقيق ، الجامع ، المانع ، فيه كتل ثلاث ، أو فيه كليات ثلاث ، فيه كليه معرفية ، فالذي يعبد الله لابدّ من أن يعرفه ، ومعرفة الله أصل الدين ، هذا الكلام قاله الإمام علي رضي الله عنه ، لابدّ من أن تعرفه ، تصلي لمن ؟ تصوم لمن ؟ تحج لمن ؟ تغض البصر لمن ؟ تنفق مالك لمن ؟ لابدّ من أن تعرف الله ، ولابدّ من أن تلتزم ، لابدّ من أن تخضع حركتك في الحياة لمنهج تفصيلي دقيق عميق متناسق ، ملخصه افعل ولا تفعل ، فلابدّ من معرفة الله أولاً ، ولابدّ من تطبيق لأمره ثانياً .

(إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا)

(سورة فصلت الآية : 30)

ثم أوقعوا حركتهم في الحياة وفق منهجه ، إذاً طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية .

العبادة طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية :

أولاً : هي طاعة ، طاعة تختلف عن طاعة الأقوياء ، الأقوياء يطاعون قسراً لكن الله سبحانه وتعالى أرادنا أن نطيعه محبة ، أرادنا أن نأتيه بمبادرة منا ، أراد أن تكون العلاقة بيننا وبينه علاقة حب ، قال تعالى :

(يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)

(سورة المائدة الآية : 54)

هي طاعة طوعية ، ولا قيمة للطاعة القسرية ، الطاعة القسرية لا ترقى بالإنسان ، لابدّ من طاعة طوعية ، هذه الطاعة الطوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أي أنه ما عبد الله من أطاعه ولم يحبه ، كما أنه ما عبد الله من أحبه ولم يطيعه .

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ذاك لعمري في المقال شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب يطيع

* * *

العبادة في أدق تعريفها :

إذاً العبادة في أدق تعريفها طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية .

(إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)

(سورة فاطر الآية : 28)

إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم ، لكن العلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك ، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً ، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظنّ أنه قد علم فقد جهل .

إذاً هي طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية .

فلو شاهدت عيناك من حسننا الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا

ولو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب وجئتنا

ولو ذقت من طعم المحبة ذرة عذرت الذي أضحى قتيلا بحبنا

* * *

ولو نسمت من قربنا لك نسمة لـمت غريباً واشتياقاً لقربنا

ولو لاح من أنوارنا لك لائح تـركت جميع الكائنات لأجلنا

* * *

الدين على اختلاف عباداته وأوامره ونواهيه يسوق الإنسان إلى الاتصال بالله :

يتضح أيها الأخوة الكرام ، أن العبادة فيها كليات ثلاث فيها كلية معرفية ، ما اتخذ الله ولياً جاهلاً لو اتخذه لعلمه ، فيها كلية سلوكية ، فيها كلية جمالية ، الكلية السلوكية هي الأصل ، لأن الدين كله على اختلاف نشاطه ، وعباداته ، وأوامره ، ونواهيه ، ينبغي أن يسوقك إلى الاتصال بالله ، بسبب استقامتك على أمره ، فإن لم تستقم لن تقطف من ثمار الدين شيئاً ، فالأصل هي طاعة طوعية ، لكن أساسها معرفة يقينية ، نتائجها تفضي إلى سعادة أبدية ، نعيد التعريف مرة ثالثة : هي طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية تفضي إلى سعادة أبدية .

العبادة التعاملية يؤكدها سيدنا جعفر حينما قابل ملك الحبشة :

أيها الأخوة الكرام ، الآن لو اتضح لنا أن هناك عبادة شعائرية ، وأن هناك عبادة تعاملية ، العبادة التعاملية يؤكدها سيدنا جعفر رضي الله عنه ، حينما قابل ملك الحبشة النجاشي ، وسأله عن الإسلام ، قال :

((أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار))

[أخرجه الإمام أحمد عن أم سلمة أم المؤمنين]

هذه الجاهلية ، وهذه الجاهلية الأولى ، وفي قوله تعالى :

(وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)

(سورة الأحزاب الآية : 33)

إشارة إلى جاهلية تأتي في آخر الزمان يذوب قلب المؤمن في جوفه مما يرى ولا يستطيع أن يغير ، يوسد الأمر إلى غير أهله .

((حتى يكون الولد غيظاً والمطر قيظاً وتفيض اللئام فيضاً ويغيض الكرام غيضاً))

[أخرجه الطبراني عن عائشة أم المؤمنين]

أركان الأخلاق :

في آخر الزمان :

((كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروف ، ولم تنهوا عن المنكر ، قالوا : أوكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال: وأشد منه سيكون ، قالوا : وما أشد منه ؟ قال : كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ، ونهيتم عن المعروف ، قالوا : أوكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : وأشد منه سيكون ، قالوا : وما أشد منه ؟ قال : كيف بكم إذا أصبح المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ؟))

[ابن أبي الدنيا وأبو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي أمامة بسند فيه ضعف]

فالجاهلية الأولى كما قال الإمام جعفر رضي الله عنه :

((أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ـ وما أكثر الأصنام في هذا الزمان ـ ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه))

[أخرجه الإمام أحمد عن أم سلمة أم المؤمنين]

هذه أركان الأخلاق ، إن حدثك فهو صادق ، وإن عاملك فهو أمين ، وإن استثيرت شهوته فهو عفيف.

((حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ـ الآن أيها الأخوة دققوا في تعريف العبادة التعاملية ـ وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء))

[أخرجه الإمام أحمد عن أم سلمة أم المؤمنين]

العبادة التعاملية و العبادة الشعائرية :

إذاً العبادة التعاملية أن تكون صادقاً ، أن تكون أميناً ، أن تكون عفيفاً ، أن تكون منصفاً ، أن تكون رحيماً ، أن تكون عفواً ، أن تكون لطيفاً ، أن تكون رؤوفاً ، مكارم الأخلاق ، حتى قال أحد كبار العلماء : الإيمان هو الخلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الإيمان ، حتى قال النبي عليه الصلاة والسلام :

((بُنِيَ الإسلامُ على خَمْسٍ))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن عبد الله بن عمر]

الخمس شيء ، والإسلام شيء آخر ، الإسلام مجموعة قيم أخلاقية .

((إنما بعثت معلما))

[أخرجه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو]

((إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق))

[أخرجه أحمد عن أبي هريرة]

لذلك العبادة التعاملية الصدق ، والأمانة ، والاستقامة ، والإنصاف ، والوفاء بالوعد ، وإنجاز العهد ، هذه العبادة التعاملية ، أما العبادة الشعائرية :

((بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن عبد الله بن عمر]

وما إلى ذلك ، فالعبادة التعاملية مكارم الأخلاق ، والعبادة الشعائرية الصلاة ، والصوم ، والحج ، والزكاة .

العبادة الشعائرية لا تصح ولا تقبل إلا إذا صحت العبادة التعاملية :

الحقيقة الخطيرة الأولى : أن العبادة الشعائرية لا تصح ، ولا تقبل ، إلا إذا صحت العبادة التعاملية ، طالبوني بالدليل :

يسأل النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه :

((تَدْرُونَ مَنْ الْمُفْلِسُ قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا لَهُ دِرْهَمَ وَلَا دِينَارَ وَلَا مَتَاعَ قَالَ الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَأْتِي بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُقْعَدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ))

[مسلم و الترمذي عن أبي هريرة]

إذاً لن نستطيع أن نقطف من الدين شيئاً إن لم نستقم على أمره ، أو العبادة الشعائرية ، ومنها الصلاة ، والصوم ، والحج ، والزكاة ، لا تقبل ولا تصح إلا إذا صحت العبادة التعاملية ، هذه الصلاة ، حديث آخر :

((يؤتى برجال يوم القيامة ، لهم أعمال كجبال تهامة يجعلها الله هباء منثورا قيل يا رسول الله جلهم لنا ، قال : إنهم يصلون كما تصلون ، ويأخذون من الليل كما تأخذون ، ولكنهم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها))

[سنن ابن ماجه عن ثوبان]

إذاً لن نقطف من الصلاة ثمرة واحدة إن لم نستقم على أمر الله ، الصوم :

((رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش))

[أخرجه الحاكم عن أبي هريرة]

يقول عليه الصلاة والسلام :

((مَن لم يَدَعْ قولَ الزُّور والعملَ بهِ ، فليسَ للهِ حاجة فِي أن يَدَعَ طعَامَهُ وشَرَابَهُ))

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة]

انتهى الصوم ، ما لم نستقم على أمر الله في شهر الصوم لا قيمة لهذا الصيام ولن نقطف منه ثمرة واحدة ، الحج :

((من حج بمال حرام فقال : لبيك اللهم لبيك ، قال الله له : لا لبيك ولا سعديك حجك مردود عليك))

[الأصبهاني في الترغيب عن أسلم مولى عمر بن الخطاب]

ذهب الحج ، بقيت الزكاة :

(قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ)

(سورة التوبة)

الحقيقة الخطيرة التي في هذا اللقاء الطيب : أن العبادات الشعائرية ومنها الصلاة والصيام ، والحج ، والزكاة ، لا تصح ولا تقبل إلا إذا صحت العبادات التعاملية ، هذه حقيقة نحتاجها جميعاً ، ونحن نؤدي العبادات ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

(وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ)

(سورة العنكبوت الآية : 45)

هذه حقيقة .

مستويات العبادة :

1 ـ عبادة الهوية :

ننتقل أيها الأخوة إلى موضوع دقيق جداً ، هذا الموضوع متعلق بأن العبادة لها مستويات ، كما أن لها أنواعاً عبادة تعاملية وعبادة شعائرية لها مستويات ، فكل إنسان بحسب هويته ، أنت من ؟ أنت غني عبادتك الأولى إنفاق المال ، أنت قوي ؟ عبادتك الأولى إحقاق الحق ، وإبطال الباطل ، إذا كنت بجرة قلم تحق حقاً ، وتبطل باطلاً ، تقر معروفاً وتزيل منكراً ، إذاً العبادة الأولى إحقاق الحق ، وإبطال الباطل ، أنت من ؟ عالم ؟ إلقاء العلم ، وألا تأخذك في الله لومة لائم ، قال تعالى :

(الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ)

(سورة الأحزاب الآية : 39)

أنتِ امرأة :

((انصرفي أيتها المرأة ، وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله ـ أي يعدل الجهاد في سبيل الله))

[أخرجه ابن عساكر وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

فكل واحد منا له هوية اجتماعية ، قد يكون قوياً فعبادته الأولى إحقاق الحق وإبطال الباطل ، وقد يكون غنياً ، فعبادته الأولى إنفاق المال في سبيل الخير ، وحلّ مشكلات المسلمين ، وإن كان عالماً عبادته الأولى إلقاء العلم من دون خوف أو وجل ، لأن كلمة الحق لا تقطع رزقاً ، ولا تقرب أجلاً ، وإن كنت امرأة فعبادتك الأولى رعاية الزوج والأولاد .

2 ـ عبادة الظرف :

أيها الأخوة ، هذه عبادة الهوية ، فما عبادة الظرف ؟ أن تعبد الله في ظرف وضعت فيه ، عندك أب مريض تأتي بعض الفرائض البديهية أن تعتني بهذا الأب ، فهذا جزء من عبادتك ، عندك ضيف أن تعتني بهذا الضيف ، عندك ابن ، أن تبالغ في تربيته ، لأنه لا يمكن أن نواجه القنبلة الذّرية في المستقبل إلا بالقنبلة الذُرية ، ولم يبقَ في أيدي المسلمين من ورقة رابحة إلا أولادهم ، الأطفال يعنون المستقبل ، الأولاد رجال الغد ، أمل الأمة .

فلذلك ينبغي أن يربي المسلم ابنه تربية إيمانية ، وأخلاقية ، وعلمية ، ونفسية ، واجتماعية ، وجسمية أيضاً ، هذا الذي ينبغي أن يفعله المسلم ، لأن :

((أفضل كسب الرجل ولده))

[أخرجه الطبراني عن أبي بردة بن نيار]

حينما يربي ابناً يكون في أعلى درجات العمل الصالح ، لأن الإنسان كما تعلمون جُبل على حبّ وجوده ، وعلى حبّ سلامة وجوده ، وعلى حبّ كمال وجوده ، وعلى حبّ استمرار وجوده ، سلامة وجوده في طاعة الله ، وكمال وجوده في العمل الصالح ، واستمرار وجوده في تربية أولاده ، فالعبادة الثانية عبادة الظرف ، عندك ابن صغير تربيته تأتي في المقام الأول ، عندك قريب مريض الاعتناء به يأتي في المقام الأول ، عندك طالب عليه امتحان عام العناية به تأتي في المقام الأول ، عندك ضيف إكرامه يأتي في المقام الأول .

3 ـ عبادة الوقت :

العبادة التي تلي تلك العبادة عبادة الوقت ، فإن لله عملاً في الليل لا يقبله في النهار ، وإن لله عملاً في النهار لا يقبله في الليل ، وقت الفجر :

(أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً)

(سورة الإسراء)

4 ـ عبادة العصر :

وأخيراً عبادة العصر ، إن أراد الطرف الآخر إفقارنا ، فاستخراج الثروات وتطوير الصناعات ، واستصلاح الأراضي ، وإنشاء السدود ، وتأمين رزق للعباد ، تأمين منتجات زراعية ، ومساكن

للشباب ، وحل مشكلات الأمة ، هذه عبادة العصر ، لأن الطرف الآخر أراد إفقارنا ، إن أراد إضلالنا ترسخ المبادئ والقيم ، إن أراد إفسادنا حفظ شبابنا وشاباتنا في دور للرعاية ، تعطيهم مناشط إسلامية ، تلبي رغباتهم دون أن تفسد أخلاقهم ، إن أرادوا إذلالنا أن نضحي بالغالي والرخيص ، والنفس والنفيس.

الشباب هم أمل الأمة فعلينا تأمين حاجاتهم الأساسية :

أيها الأخوة الكرام ، عبادة العصر تعني أن ننهض بالأمة ، أن نبني أمتنا ، أن نستصلح أراضينا ، أن نستخرج ثرواتنا ، أن نوفر فرص عمل لكل شبابنا ، أن نوفر لهم فرص زواج ، لأن شبابنا كما أقول دائماً : قنبلة موقوتة ، إن لم نحقق لهم حاجاتهم الأساسية من زواج ، وعمل ، ومسكن تنازعتهم اتجاهات عديدة ، إما أن يقعوا في التطرف الديني ، فيكفرون ويفجرون ، وإما أن يقعوا في التطرف التفلتي فيلغون القيم ، يسلكون سبيل الإباحية ، أما حينما نرعى مصالحهم ، ونؤسس لهم أعمالاً ، نبني لهم مساكن ، نزوجهم ، نكون قد وضعناهم في مكانهم الصحيح ، فلعل الله سبحانه وتعالى يعيد لهذه الأمة دورها القيادي عن طريق الشباب ، هم الأمل الكبير للأمة ، ونحن نواجه كما قلت قبل قليل القنبلة الذّرية بقنبلة الذُرية .

لذلك العبادة طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة المنار - الدرس (2-5) : العلم بالله وبأمره وبخلقه قوة ، وطلب العلم فريضة على الإنسان ليحقق ذاته

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2008-09-02

بسم الله الرحمن الرحيم

التفوق و التطرف :

الإنسان عقل يدرك ، وقلب يحب ، وجسم يتحرك ، غذاء العقل العلم ، وغذاء القلب الحب ، وغذاء الجسم الطعام والشراب ، والإنسان حينما يلبي حاجة العقل بالعلم الصحيح المنضبط ، المستنبط من وحي السماء ، وحينما يلبي حاجة القلب بالحب المشروع الذي سمح الله به ، وحثّ عليه ، وحينما يلبي حاجة الجسم بالطعام والشراب المعتدل كما أمرنا الله عز وجل ، عندئذٍ يتفوق الإنسان ، أما إذا لبى حاجة واحدة ، وأهمل الحاجتين الباقيتين عندئذٍ يتطرف الإنسان ، وفرق كبير بين التفوق وبين التطرف.

لذلك أودع الله في الإنسان قوة إدراكية ، كيف ؟

أيها الأخوة ، الجماد شيء مادي يشغل حيزاً في الفراغ ، له وزن ، وله أبعاد ثلاثة ، هذا هو الجماد ، أما النبات شيء أيضاً مادي ، يشغل حيزاً في الفراغ ، وله أبعاد ثلاثة ، لكنه ينمو ، يختلف النبات عن الجماد بالنمو ، بينما الحيوان أيضاً شيء مادي ، يشغل حيزاً في الفراغ ، وله أبعاد ثلاثة ، وينمو كالنبات ، لكنه يتميز عنه بأنه يتحرك ، أما الإنسان شيء جسمه مادة ، مادي يشغل حيزاً في الفراغ ، وله وزن ، وله أبعاد ثلاثة ، وينمو كالنبات ويتحرك كبقية المخلوقات ، لكنه يفكر ، هنا تميز الإنسان .

يعني الله عز وجل أودع في الإنسان قوة إدراكية ، ما لم تلبَ هذه القوة الإدراكية بالعلم ، ما لم تلبَ أنا أسميها الحاجة العليا في الإنسان ، له حاجات دنيا ، أن يأكل ، وأن يشرب ، وأن يستمتع بالحياة ، وله حاجة عليا ما لم تلبَ هذه الحاجة العليا في الإنسان ، عندئذٍ يهبط الإنسان عن مستوى إنسانيته ، إلى مستوىً لا يليق به .

طلب العلم فريضة على الإنسان ليحقق ذاته :

لذلك أيها الأخوة ، طلب العلم فريضة على الإنسان ليحقق ذاته ، الإنسان مفطور على حبّ وجوده ، وعلى حبّ سلامة وجوده ، وعلى حبّ كمال وجوده ، وعلى حبّ استمرار وجوده ، لا يحقق الإنسان

كمال وجوده إلا إذا طلب العلم .

لذلك إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم ، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك ، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً ، ويظل المرء عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظنّ أنه قد علم ، فقد جهل ، طالب العلم يؤثر الآخرة على الدنيا فيربحهما معاً ، بينما الجاهل يؤثر الدنيا على الآخرة فيخسرهما معاً .

لذلك أودع الله في الإنسان قوة إدراكية ، هذه القوة الإدراكية ينبغي أن تلبى ، من هنا يقول الله عز وجل :

(وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ)

(سورة العصر)

يقسم الله لهذا المخلوق الأول رتبة ، وهو بضعة أيام ، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه ، يقسم الله بمطلق الزمن لهذا المخلوق الأول ، الذي هو في حقيقته زمن ، يقسم ويأتي جواب القسم :

(إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ)

أي أن مضي الزمن يستهلكه .

معرفة الله عز وجل تنجي الإنسان من عذاب الدنيا و الآخرة :

إذاً متى ينجو هذا الإنسان الذي خلقه الله لجنة عرضها السماوات والأرض ؟ متى ينجو هذا الإنسان الذي هو الأول عند الله ؟.

(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً)

(سورة الأحزاب)

متى ينجو هذا الإنسان الذي كرمه الله ؟.

(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً)

(سورة الإسراء)

متى ينجو هذا الإنسان ؟ حينما يقول الله عز وجل :

(لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ)

(سورة التين)

إن لم يعرفنا .

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ)

(سورة التين)

متى ينجو هذا الإنسان ؟ ينجو إذا عرف الله عز وجل .

الدعوة إلى الله في الآية التالية فرض على كل مسلم :

لذلك

(وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا)

رحمة الله بإلا ،

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا)

بحثوا عن الحق وصلوا إليه .

(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)

(سورة العنكبوت الآية : 69)

بحثوا عن الحقيقة ، وصلوا إليها ، إما من خلال البحث الذاتي ، أو من خلال تصديق ما جاء من وحي السماء ، لأن وحي السماء هو الحق ، والقرآن كون ناطق ، والكون قرآن صامت ، والنبي عليه الصلاة والسلام قرآن يمشي .

إذاً :

(إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)

(سورة العصر)

معنى

(وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ)

أي الدعوة إلى الله ، في هذه الآية فرض على كل مسلم كما قال عليه الصلاة والسلام :

((بلغوا عني ولو آية))

[أخرجه البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

إذاً كل مسلم يعد نقل الحق للآخر ، أو نقل الحق الذي سمعه للآخر فرض عين عليه .

الخاسر من لم يبحث عن الحقيقة و يصل إليها و يعمل وفقها :

لكنني أفرق بين الدعوة إلى الله ، كفرض كفاية إذا قام بها البعض ، وقيام البعض بها يعني التبحر ، والتعمق ، والتفرغ ، والقدرة على ردّ كل الشبهات ، وتأصيل كل القضايا في الدين ، وبين الدعوة إلى

الله كفرض عين في حدود ما يعلم المؤمن ، ومع من يعرف ، هذا معنى قوله تعالى :

(وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ)

في حدود ما يعرفون ، ومع من يعرفون ،

(وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)

أي ما لم تبحث عن الحقيقة ، وتبحث عنها صادقاً ، وتصل إليها ، وما لم تعمل وفقها :

وعالم بعلمه لم يعملنْ معذَّب من قبْل عباد الوثن

***

وما لم تدعُ إليه ، وما لم تصبر على البحث عنها ، والعمل بها ، والدعوة إليها ، فالإنسان خاسر ،

(وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ)

شعب المعرفة ثلاث ؛ معرفة الله و معرفة أمره و معرفة خلقه :

لكن هذه المعرفة أيها الأخوة ، معرفة ذات شعب ثلاث ، ينبغي أن تعرف الله لأن أصل الدين معرفته ، وينبغي أن تعرف أمره ، وينبغي أن تعرف خلقه ، فالعلم بخلقه هو اختصاص الجامعات في العالم ، الفيزياء ، والكيمياء ، والرياضيات ، والفلك ، والطب ، والهندسة ، وطب الأسنان ، والصيدلة ، وعلم الجيولوجيا ، والعلوم الطبيعية ، والعلوم الحيوانية ، والطب البشري ، هذه كلها علوم بخلقه ، والإنسان أيها الأخوة مكلف أن يخضع لهذه القوانين التي قننها الله عز وجل .

وأنا أرى أن جزءاً من عبادة الإنسان أن يخضع لهذه القوانين ، لأن الله سبحانه وتعالى جعل لكل شيء سبباً ، فينبغي أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ، ثم تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء ، العالم الغربي أخذ بالأسباب واعتمد عليها وألهها ، ونسي الله ، وقع في الشرك ، والعالم الإسلامي أقول بشكل عام لا أقول بشكل مطلق لم يأخذ بها ، وتواكل ، فوقع في وادي المعصية ، أما الموقف الكامل أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ، ثم تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء .

العلم بخلقه أصل صلاح الدنيا والعلم بأمره أصل في صلاح العبادة:

لذلك العلم بخلقه أصل صلاح الدنيا ، ألم يقل الله عز وجل :

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)

(سورة الأنفال الآية : 60)

العلم بخلقه وهو اختصاص الجامعات أصل في صلاح الدنيا ، وهناك علم آخر هو العلم بأمره ، هذا المنهج الإلهي ، هذا الوحي السماوي ، هذا القرآن الكريم ، مع شرح المعصوم ، هو المنهج التفصيلي ، ينبغي أن نعرف الأمر والنهي ، كيف نعبد الله إن لم نعرف أمره ونهيه ؟ من لوازم عبوديتنا لله عز وجل أن نعرف أمره ونهيه .

فلذلك العلم بخلقه أصل في صلاح الدنيا ، وقد قال الله تعالى لنا :

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)

الاقتصاد قوة ، الاكتفاء الذاتي في الإنتاج الزراعي قوة ، الاكتفاء الذاتي في الصناعة قوة ، الاكتفاء الذاتي في تصنيع الأسلحة قوة ،

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)

والإعلام قوة ، والأقمار الصناعية قوة ، وكل شيء يقوى به المسلمون ينبغي أن يسلكوا طريقه . ذلك لأن الإنسان حينما يعرف ربه ، يبحث عن عمل يتقرب به إليه ، وما من قربة إلى الله أعظم من أن تكون قوياً تحمي بهذه القوة الدين وأهله .

إذاً العلم بخلقه أصل في صلاح الدنيا ، والعلم بأمره أصل في صلاح العبادة ، أما العلم به فشيء آخر .

التفكر في خلق السماوات و الأرض أصل معرفة الله تعالى :

أيها الأخوة ، العلم بالله أن تعرفه ، كيف تعرفه ؟ تعرفه من خلقه ، الله عز وجل خلق السماوات والأرض ، الكون خلقه ، والقرآن كلامه ، والأحداث التي تجري أفعاله ، يمكن أن تعرفه من خلقه ، ومن أفعاله ، ومن قرآنه ، مثلاً الله عز وجل يقول :

(قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)

(سورة يونس الآية : 101)

أمر إلهي ، وكل أمر إلهي يقتضي الوجوب ، ما لم تقم قرينة على خلاف ذلك ، الله يقول عز وجل يقول

(قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)

(وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ)

(سورة يوسف)

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

(سورة آل عمران)

فالتفكر في خلق السماوات والأرض أوسع باب ندخل منه على الله ، وأقصر طريق إليه ، لذلك من أجل أن نعرفه ، إننا إن عرفناه عرفنا كل شيء .

((ابن آدم اطلبني تجدني ، فإذا وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فتك فاتك كل شيء ، وأنا أحب إليك من كل شيء))

[مختصر تفسير ابن كثير]

فمن أجل أن نعرفه ينبغي أن نتفكر في خلق السماوات والأرض .

كثرة الآيات التي تتحدث في القرآن الكريم عن خلق الله عز وجل :

في القرآن الكريم ما يقترب من ألف آية تتحدث عن خلقه ، فإذا كانت الآيات التي فيها أمر تقتضي أن نأتمر ، والآيات التي فيها نهي تقتضي أن ننتهي ، والآيات التي فيها ذكر للجنة والنار تقتضي أن نسعى إلى دخول الجنة ، وأن نفر من النار ، والآيات التي فيها قصص الأولين تقتضي أن نعتبر ، فماذا نفعل في ألف آية تتحدث عن الكون ؟! تقضي هذه الآيات أن نتفكر ، فإذا قال الله عز وجل في قوله تعالى الآية الكريمة :

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

(سورة الواقعة)

بين الأرض وبين أقرب نجم ملتهب إليها أربع سنوات ضوئية ، بين الأرض وبين أقرب نجم ملتهب إليها ، عدا الشمس ، أربع سنوات ضوئية ، والضوء كما تعلمون يقطع في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كم ، كم يقطع في الدقيقة ؟ نضرب ثلاثمئة ألف بستين ، كم يقطع في الساعة ؟ نضرب بستين ، كم يقطع في اليوم ؟ نضرب بأربع و عشرين ، كم يقطع في السنة ؟ نضرب بثلاثمئة و خمسة و ستين ، كم يقطع في أربع سنوات ؟ نضرب بأربعة .

إذاً هناك رقم كبير ، هناك رقم ما يقطعه الضوء في أربع سنوات ، لو كان في هذا النجم الذي يعد أقرب نجم ملتهب إلينا ، لو كان هناك طريق إليه ، ومعنا مركبة أرضية والسرعة مئة ، لو قسمنا هذه المسافة على مئة ، فالجواب كم نحتاج إلى أن نصل لهذا النجم ؟ لو قسمنا هذا الناتج على 24 كم يوم ؟ لو قسمنا هذا الناتج على 365 كم سنة ؟.

الله عز وجل خلق الأكوان و هو الذي أنزل هذا القرآن :

هل تصدقون أيها الأخوة أنه من أجل أن نصل إلى أقرب نجم ملتهب إلى الأرض نحتاج إلى خمسين مليون عام ، فإذا قرأت قوله تعالى

(فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)

عندئذٍ ندرك أن هذا الإله العظيم خلق الأكوان ، وأنزل القرآن ، بل إن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن .

ونحن حينما نتأمل في الشمس وفي الأرض بين الأرض والشمس 156 مليون كم يقطعها الضوء في 8 دقائق ، الشمس أكبر من الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرة ، جوف الشمس يتسع لمليون وثلاثمئة ألف أرض .

أيها الأخوة ، هل تصدقون أن في أبراج السماء برجاً اسمه برج العقرب ، فيه نجم صغير متألق ، اسمه قلب العقرب ، يتسع للشمس ، والأرض مع المسافة بينهما ، هذا الإله العظيم ألا يخطب وده ؟ ألا ترجى جنته ؟ ألا تخشى ناره ؟.

لذلك :

(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)

إذاً من خلال التفكر في خلق السماوات والأرض نعرفه ، ويكون العلم به ، ومن خلال دراسة الأحكام الشرعية يكون العلم بأمره ، ومن خلال دراسة قوانين الكون يكون العلم بخلقه ، فالعلم بخلقه أصل في صلاح الدنيا ، والعلم بأمره أصل في حسن العبادة ، والعلم به أصل في معرفته ، وطاعته ، والإقبال عليه ، والتوكل عليه ، والسعادة بقربه ، ونيل الجنة والنجاة من النار .

أصول الدين الكتاب و السنة :

أيها الأخوة ، إن صحّ ، ونحن في موضوع العلم أن هناك منهج بحث في الإسلام هذا المنهج قائم على الحقيقة التالية :

هناك نص قرآني ، والقرآن كما يعلم كل مسلم قطعي الثبوت ، موقفك منه أن تتأكد من المعنى الذي أراده الله ، لك حركة واحدة مع هذا النص ، أن تعرف ماذا أراد الله بهذا النص من خلال علم الأصول؟ ونص آخر هو نص النبي عليه الصلاة والسلام والأحاديث الشريفة كما تعلمون بعضها قطعية الثبوت ،

وبعضها ظني الثبوت ، لك مع هذا النص مهمتان ، الأولى أن تتأكد من صحة هذا الحديث ، فما كل حديث مكتوب في الكتب يعد صحيحاً ، لابدّ من التأكد من صحة الحديث .
والمهمة الثانية أن تفهم ماذا أراد النبي عليه الصلاة والسلام بهذا الحديث وفق علم الأصول ؟
أما مع نص آخر من آدم إلى يوم القيامة ينبغي أن تتأكد من صحته بالنسبة إلى صاحبه ، ومن المعنى الذي أراده ، ثم ينبغي أن تعرضه على الكتاب والسنة ، فإن قبله فعلى العين والرأس ، وإن رفضه فترفضه أنت ، وينبغي أن لا تعبأ به ، لأنه لابدّ من أن نعد الكتاب والسنة الأصل الكبير في الدين ، وهو المقياس الأول .

العلم يرفع مستوى الإنسان إلى المستوى الذي يليق به :

لذلك أيها الأخوة ، يقولون : إذا كنت ناقلاً فالصحة ، مبتدعاً فالدليل ، عود نفسك ألا تقبل شيئاً من دون دليل ، وألا ترفض شيئاً من دون دليل ، ولولا الدليل قال من شاء ما شاء ، والمشكلة أن هذا الدين العظيم له مرجعية مؤصلة ، فما لم يكن تصورنا ، وتفكيرنا وفق هذا المرجع المؤصل فنحن في خطأ كبير .
أيها الأخوة الكرام ، لابدّ من أن نطلب العلم ، لأن العلم يرفع مستوى الإنسان إلى المستوى الذي يليق به ، لابدّ من أن يكون العلم رائداً لنا ، إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم ، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك ، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً .

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة المنار - الدرس (3-5) : الزكاة تطهر نفس الغني من البخل ، ونفس الفقير من الحقد والحسد

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 03-09-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

ارتقاء الإنسان بالشهوات صابراً و شاكراً :

الله عز وجل يقول :

(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

(سورة آل عمران الآية : 14)

معنى ذلك أن الله أودع فينا الشهوات ، لكن بعض الناس يتوهمون أنه لولا الشهوات لما هلك الإنسان ، والحقيقة عكس ذلك ، لولا الشهوات التي أودعها الله فينا ما ارتقى الإنسان إلى رب الأرض والسماوات، الإنسان يرتقي بالشهوة التي أودعت فيه مرتين يرتقي مرة إلى الله صابراً ، ويرتقي مرة إلى الله شاكراً ، فإذا أودع الله في الإنسان حبّ المال إذا امتنع عن كسب المال الحرام يرقى صابراً ، وإذا كسب المال الحلال وانتفع به يرقى إلى الله شاكراً .

لذلك لولا الشهوات ما ارتقينا إلى رب الأرض والسماوات ، ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها ، ليس في الإسلام حرمان ، هذا توهم الجاهلين ، الإسلام دين الحياة.

الإسلام هو الحياة والإسلام دين الفطرة :

مرة ثانية : ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها ، أودع الله في الإنسان حب المرأة ، فإذا تزوج ارتقى إلى الله شاكراً .

مرة التقيت بعالم من علماء دمشق ، قال لي : أنا عندي 38 حفيداً ، عدد كبير منهم من حفاظ كتاب الله، وعدد كبير منهم أطباء ، قلت : هذا الجمع الكبير من الأبناء والبنات ، والأحفاد ، والأصهار ، والكنائن ، هذا الجمع الغفير أساسه تلبية حاجة الجنس ، لكن ارتقى بها إلى أعلى عليين ، وفي أي بيت دعارة تتم في هذا البيت علاقة جنسية وفيها يسقط الإنسان .

فالشهوة حيادية ، سلم نرقى بها ، أو دركات نهوي بها ، لكن الحقيقة الدقيقة التي أؤكد عليها أنه ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا جعل لها قناة تسري خلالها ، فالإسلام هو الحياة ، والإسلام دين الفطرة .

من اتبع هواه وفق هدى الله عز وجل لا شيء عليه :

بل إن الله عز وجل حينما قال :

(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ)

(سورة القصص الآية : 50)

ما معنى ذلك ؟ عند علماء الأصول هناك المعنى العكسي ، المعنى المخالف ، أي أن الذي يتبع هواه وفق هدى الله عز وجل لا شيء عليه ، لذلك هناك آية دقيقة جداً ، قال تعالى :

(فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ)

(سورة الفجر)

جاء الرد الإلهي بكلمة ردع ونفي ، قال :

(كَلَّا)

(سورة الفجر الآية : 17)

أن يا عبادي ليس عطائي إكراماً ، ولا منعي حرماناً ، عطائي ابتلاء ، وحرماني دواء ،

(الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ)

يقول هو ، يتوهم أن المال المحض ، أن المال على إطلاقه إكرام ، لا ،

(وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ)

جاء الجواب

(كَلَّا)

هذا المال ليس نعمة ، وليس نقمة ، موقوف على طريقة كسبه وإنفاقه .

فلذلك الشهوة حيادية ، وما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناة نظيفة تسري خلالها .

التناقض بين الطبع والتكليف ثمن الجنة :

لهذا نقول هناك طبع في الإنسان ، وهناك تكليف ، فالطبع يقتضي أن تأخذ المال ، والتكليف ينبغي أن تنفقه ، الطبع يقتضي أن تبقى نائماً ، والتكليف يقتضي أن تستيقظ على صلاة الفجر ، الطبع يقتضي أن

تملأ عينك من محاسن المرأة ، والتكليف يقتضي أن تغض البصر .

فلذلك هذا التناقض بين الطبع والتكليف ، تغطيه الآية الكريمة :

(وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)

(سورة النازعات)

لذلك أنت حينما تنهى نفسك عن شهوة لا ترضي الله ، وتتبع الحيز الذي سمح الله به ترقى إلى الله شاكراً .

فرضية الزكاة :

هذا تقديم لموضوع الزكاة ، الله عز وجل يقول :

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ)

(سورة التوبة الآية : 103)

الآية أصل في فرضية الزكاة ، كلمة خذ ، الله يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم لكن بعض علماء الأصول يقولون : لا يخاطب الله النبي في هذه الآية ، على أنه نبي الأمة يخاطبه على أنه ولي المسلمين ، فالزكاة ليست قضية مزاج تدفع أو لا تدفع ، ينبغي أن تؤخذ من المسلم ، ينبغي أن تؤخذ ،

(خُذْ مِنْ)

(مِنْ)

تقتضي التبعيض ، يغني خذ بعض أموالهم ، لا تأخذ كل أموالهم ، ليس في الإسلام مصادرة المال كله،

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ)

خذ بنسبة لا تزيد عن اثنين ونصف بالمئة ،

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ)

أما كلمة

(أَمْوَالِهِمْ)

جاءت جمعاً ، لأن الزكاة في جميع الأموال ، ما أنتجته الأرض ، الأنعام ، مقدار الذهب والفضة ، أي مال بالمقياس المعاصر هو مال ، القطن مال ، خامات المعادن مال ، البترول مال ،

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً)

معنى صدقة ، هنا سميت الزكاة صدقة في هذا المقام للتأكيد على أنها تدل على صدق الإنسان ، هناك عبادات لا تكلف شيئاً لكن هناك عبادة تكلف أن تنفق شيئاً تحبه ، أن تنفق شيئاً تتمنى أن يبقى معك .

الإنسان حينما يؤدي زكاة ماله يؤكد صدقه في محبة الله عز وجل :

لذلك الإنسان حينما يؤدي زكاة ماله يؤكد صدقه في محبة الله عز وجل ،

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ)

من ماذا ؟ قال علماء التفسير : تطهر الغني من الشح ، والشح مرض خبيث ، بمعنى كيف أن هناك مرض ينتهي بالموت ، كالورم الخبيث ، قال تعالى :

(وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)

(سورة الحشر)

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ)

تطهر الغني من الشح ، وتطهر الفقير من الحقد ، حينما يحقد الفقير ، حينما يكون الفقير محروماً ، يحقد على المجتمع ، فلذلك قال عليه الصلاة والسلام في حديث صحيح :

((فإنما تُرزقونَ وتُنصرون بضعفائكم))

[أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي عن أبي الدرداء]

هذا الضعيف إن أطعمته إن كان جائعاً ، كسوته إن كان عارياً ، عالجته إن كان مريضاً ، زوجته إن كان غير متزوج ، آويته إن كان مشرداً ، علمته إن كان جاهلاً ، أنصفته إن كان مظلوماً ، هذا الضعيف حينما لبيت حاجته وأنت قوي ، وبإمكانك أن تهمله يكافئك الله مكافأة من جنس عملك فينصرك على من هو أقوى منك .

لذلك إنما أداة قصر وحصر ، إنما تنصرون بضعفائكم ، إنما تنصرون ، وفي رواية :

((وتُرزقونَ بضعفائكم))

فلذلك

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ)

تطهر الغني من الشح ، وهو مرض خبيث ، تطهر الفقير من الحقد ، تطهر المال من تعلق حقّ الغير به ،

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ)

الزكاة تطهر نفس الغني و تزكيها :

الآن

(وَتُزَكِّيهِمْ)

فالغني حينما يرى عمله الطيب انعكس بسمة على وجوه من حوله ، حينما يطعم الجائعين ، حينما يلبي حاجات الفقراء ، حينما يوفر فرص عمل لهؤلاء المساكين ، حينما يكون في خدمة مجتمعه ، حينما يسخر ماله لخدمة المسلمين ، حينما يقوي بماله المسلمين ، حينما يهيئ فرص عمل ، حينما يقوم بمشاريع ، مشاريع استثمارية تؤمن فرص عمل ، مشاريع خيرية ، مأوى للعجزة ، دار للأيتام ، معاهد شرعية ، هذا الغني يشعر أنه مهم جداً في المجتمع ، تنمو نفسه ، صار في قلوب الآلاف ، في قلوب عشرات الألوف .

لذلك فضلاً عن أن الزكاة تطهر نفس الغني ، تزكي نفس الغني ، أي تنمو به وكذلك الفقير ، حينما يرى حاجاته أمنت ، جاؤوا له بالطعام ، والشراب ، والمأوى ، وضعوا أولاده في المدارس ، أعانوه على حلِّ مشكلاته في الدنيا ، يشعر بقيمته في المجتمع ، يشعر أنه عضو في الأسرة ، وليس منبوذاً محتقراً .

من يؤدي زكاة ماله ينمو ماله مرتين ؛ مرة بآلية اقتصادية و مرة بطريقة إلهية :

لذلك تنمو نفس الفقير أيضاً ، نفس الغني تنمو ، ونفس الفقير تنمو ، والمال ينمو ، قال العلماء : ينمو بإحدى طريقتين ، إما أنه ينمو بآلية اقتصادية ، فالفقير إذا أعطيته مالاً أصبح بيده قوة شرائية ، ماذا يفعل بهذا المال ؟ لابدّ من أن يشتري طعاماً ، وشراباً ، وكساءً ، إذاً هو أصبح قوة شرائية سببت ربحاً لهذا الغني الذي أنفق من ماله الزكاة ، إذاً المال ينمو بآلية اقتصادية طبيعية .

ولكن هناك رأي آخر أنا يسرني ، أن هذا المال ينمو أيضاً بآلية أخرى ، أنا أسميها العناية الإلهية ، فهذا الغني حينما أنفق ماله ، وأدى زكاته ، الله عز وجل بعناية خاصة يبعده عن كل صفقة خاسرة ، ينمي ماله ، يقنع الناس ببضاعته ، إذاً ينمو ماله مرتين ينمو مرة بآلية اقتصادية ، وينمو مرة بطريقة إلهية .

لذلك :

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ)

المؤمن القوي خير وأحبّ إلى الله لأن فرص العمل الصالح أمامه لا تعد ولا تحصى :

أيها الأخوة ، هناك حقيقة لابدّ منها ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((المؤمن القويُّ خيْر وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

المؤمن القوي ، لماذا ؟ طبعاً النبي كما يقولون في اللغة الدارجة جبار خواطر قال :

((وفي كلّ خير))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

جميع المؤمنين على العين والرأس ، لكن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله لماذا ؟ قال : لأن فرص العمل الصالح أمام المؤمن القوي لا تعد ولا تحصى ، لأن الإنسان خلق للعمل الصالح ، والدليل أنه حينما يأتيه ملك الموت لا يندم إلا على عمل صالح فاته .

(قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً)

(سورة المؤمنون)

المؤمن القوي متاح له من الأعمال الصالحة ما لم يتح للضعيف ، والقوة قوة مال ، والقوة قوة العلم ، والقوة قوة المنصب ، قوي المنصب بجرة قلم يحق حقاً ويبطل باطلاً ، قوي المنصب بجرة قلم ، يقر معروفاً ويزيل منكراً ، قوي المال يحل مشكلات الشباب ، يزوج الشباب ، ينشئ دور المأوى للعجزة ، دور للأيتام ، معاهد شرعية ، مستشفيات مستوصفات ، يشق الطرق ، يحل مشكلات الأمة .

القوة في الحياة ذات اتجاهات ثلاثة ؛ قوة العلم وقوة المال وقوة المنصب :

لذلك حينما يكون طريق قوة المال سالكاً وفق منهج الله يجب أن تكون غنياً لأن المؤمن الغني متاح له من الأعمال الصالحة ما لم يتح للفقير .

وحينما يكون طريق القوة سالكاً وفق منهج الله يجب أن تكون قوياً ، لأنه بقرارٍ تحق حقاً ، وتبطل باطلاً ، وحينما يكون طريق العلم سالكاً وفق منهج الله ينبغي أن تكون عالماً ، لأن القوة في الحياة ذات اتجاهات ثلاثة ، قوة العلم ، وقوة المال ، وقوة المنصب .

لذلك إذا كان طريق القوة سالكاً وفق منهج الله ينبغي أن تكون قوياً .

((المؤمن القويُّ خيْر وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف))

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة]

لذلك يقول الإمام علي كرم الله وجهه : قوام الدين والدنيا أربعة رجال ، عالم مستعمل علمه ، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم ، وغني لا يبخل بماله ، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه ، في هذا الحديث الذي نسب للإمام علي رضي الله عنه تتمة ، قال :

فإذا ضيع العالم علمه ، أي لم يطبق علمه ، فإذا ضيّع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم ، لماذا يتعلم ؟! ليخالف علمه ؟ وإذا بخل الغني بماله باع الفقير آخرته بدنيا غيره .

فلذلك أيها الأخوة قوام الدين والدنيا أربعة رجال ، عالم مستعمل علمه ، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم ، وغني لا يبخل بماله ، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه .

الزكاة الحجر الأساس في الاقتصاد الإسلامي :

أيها الأخوة ، الزكاة تعد الحجر الأساس في الاقتصاد الإسلامي ، لكن هذا الوهم الساذج أن تعطي دريهمات لفقير يمد يده إليك ، ينبغي أن تغني الإنسان لعام ، أو مدى الحياة بتوفير حرفة له ، أو آلة يعمل عليها ، أو طريق لكسب رزقه .

فلذلك أفضل زكاة ما حولت قابض الزكاة إلى دافع الزكاة ، يجب أن نعطي الزكاة وأن نُشعر هذا الفقير أن كرامته محفوظة ، يجب أن نعطيه عطاءً يكفيه عاماً .

هناك بعض الآراء الفقهية : أو أن نعطيه عطاءً يكفيه مدى العمر عن طريق تأمين حرفة له ، أو عن طريق آلة يعمل بها ، أو محل تجاري ، ينبغي أن تجعله منتجاً ، وأن تبعده عن أن يمد يده .

الزكاة فرض و الصدقة تؤكد محبة الإنسان لله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام ، نقطة دقيقة جداً ، قال تعالى :

(لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ)

(سورة البقرة الآية : 177)

(وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ)

قال علماء التفسير :

(وَآَتَى الْمَالَ)

مع أنه يحبه ، يحب كنزه بحسب طبعه ،

(وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ)

وقال بعضهم :

(وَآَتَى الْمَالَ)

بسبب حبه لله عز وجل ، هذا هي الصدقة ، والدليل :

(وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ)

فإيتاء الزكاة شيء ، ودفع الصدقة شيء آخر ، والإنسان حينما يؤدي زكاة ماله يؤدي فرضاً فرضه الله عليه ، أما حينما يؤدي صدقة وينفع بها الأمة معنى ذلك أنه يؤكد محبته الزائدة لله عز وجل ،

(وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ)

ثم قال :

(وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ)

الهالك من أنفق كل ماله أو لم ينفق شيئاً من ماله :

أيها الأخوة الكرام ، آية ثانية ، يقول الله عز وجل :

(وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)

(سورة البقرة الآية : 195)

قال علماء التفسير : إنكم تهلكون بإحدى حالتين ، إن أنفقتم مالكم كله ، أو لم تنفقوا من أموالكم شيئاً ،

(وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)

أي أن تهلك أيها الإنسان بعدم الإنفاق ، أو أن تهلك بإنفاق المال كله .

الاتصال مع الله عز وجل يمنع الإنسان من الخوف و البخل :

لابدّ من التنويه إلى أن الإنسان فيه نقاط ضعف في أصل خلقه ، قال تعالى :

(إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً)

(سورة المعارج)

شديد الهلع ، ما معنى شديد الهلع ؟ قال :

(إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً)

(سورة المعارج)

يعني إذا كان معه مال طبعه يقتضي ألا ينفقه ، أن يخزنه ، أن يكنزه .

(وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ)

(سورة التوبة الآية : 34)

يكنزونها ، فإذا أفقه عاكس طبعه ارتقى عند الله ، فلذلك :

(إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً)

(إِلَّا الْمُصَلِّينَ)

(سورة المعارج)

هنا ، المصلي ينجو من الهلع ، وينجو من البخل ، لذلك ورد في بعض الآثار القدسية :

((ليس كل مصلٍّ يصلي ، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي ، وكفّ شهواته عن محارمي ، ولم يصر على معصيتي ، وأطعم الجائع ، وكسا العريان ، ورحم المصاب ، وآوى الغريب ، كل ذلك لي ، وعزتي وجلالي إن نور وجهه لأضوء عندي من نور الشمس على أن أجعل الجهالة له حلما ، والظلمة نورا ، يدعوني فألبيه ، ويسألني فأعطيه ، ويقسم عليّ فابره ، أكلأه بقربي ، وأستحفظه ملائكي ، مثله عندي كمثل الفردوس لا يمس ثمرها ، ولا يتغير حالها))

[أخرجه الديلمي عن حارثة بن وهب]

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

النصر بيد الله حصراً وقصراً وثمنه أن تنصر دينه :

النصر تطوق إليه نفس كل مؤمن .

(وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ)

(سورة الروم)

ولكن هذا النصر الذي ترتاح إليه النفوس ، وتهفو إليه الأفئدة ؟ هل له قوانين ؟ هل له شروط ؟ هل له أسباب ؟ هل يكون وفق سنن ثابتة ؟ أم هناك شيء آخر ؟ هذا محور هذا اللقاء الطيب والأخير .

أيها الأخوة الكرام ، الآية الأصل في هذا الموضوع :

(وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)

(سورة آل عمران الآية : 126)

والآية الأصل الثانية في هذا الموضوع :

(إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ)

(سورة محمد الآية : 7)

فالنصر بيد الله حصراً ، وقصراً ، وثمنه أن تنصر دينه .

المسلمون ليسوا مستخلفين وممكنين وآمنين في الأرض لخطأ منهم :

لذلك لو فتحنا القرآن الكريم ، الله عز وجل يقول :

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا)

(سورة النور الآية : 55)

يعني على مستوى مجموع العالم الإسلامي هل نحن مستخلفون في الأرض ؟ أقول لكم : الحقيقة المرة وأنا أعتقد أنها أفضل ألف مرة من الوهم المريح ، لا ، نحن لسنا مستخلفين في الأرض ،

(وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ)

أيضاً سؤال محرج ، والحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح ، هل نحن ممكنون في الأرض؟ الجواب : لا ،

(وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنَاً)

أقول على مجموع العالم الإسلامي ، هل نحن آمنون ؟ الجواب : لا .

آية ثانية :

(وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)

(سورة الصافات)

(وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِين)

(سورة الروم)

(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

(سورة غافر الآية : 51)

هذه الآيات ماذا نفعل بها ؟.

من آمن بالله خالقاً و رباً و عزيزاً كان النصر حليفه :

أيها الأخوة الكرام ، أنتم معي ، وأنا معكم ، زوال الكون أهون على الله من ألا يحقق وعوده للمؤمنين، كيف نفسر ذلك ؟ النصر من عند الله ، وبيد الله ، لكن له شروط هذه الشروط إذا دفعت كان النصر وفاء من الله ، حينما يقول :

(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

أيها الأخوة ، أحد هذه الشروط أن نؤمن بالله ، الدليل :

(وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِين)

لكن أي إيمان بالله ؟ إبليس آمن بالله ، ألم يقل ربي :

(فَبِعِزَّتِكَ)

(سورة ص الآية : 82)

آمن بالله رباً وعزيزاً ، أم يقل ؟

(خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)

(سورة ص)

آمن بالله خالقاً ، ألم يقل ؟

(أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)

(سورة الأعراف)

فالذي يؤمن بالله خالقاً موجوداً ، ولا يأتمر بأمره ، ولا ينتهي عما عنه نهى ، ولا يلتزم ، أنا أسمي هذا الإيمان إيماناً إبليسياً ، لا يقدم ولا يؤخر .

بطولة الإنسان أن يترجم إيمانه إلى عمل صالح :

أيها الأخوة الكرام ، البطولة أن يترجم الإيمان إلى التزام ، إلى سلوك ، إلى عمل ، أن تكون وقافاً عند حدود الله ، أن يراك الله حيث أمرك ، وأن يفتقدك حيث نهاك ، ما لم نلتزم ، ما لم نعطِ لله ، ما لم نمنع لله ، ما لم نغضب لله ، ما لم نرضَ لله ، ما لم نصلِّ لله ، ما لم نقطع لله ، لسنا مؤمنين الإيمان الذي أراده الله .

لذلك حينما قال الله عز وجل :

(وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)

أي المؤمنون الذين حملهم إيمانهم على طاعة الله ، المؤمنون الذي حملهم إيمانهم على أن يقفوا عند حدود الله ، المؤمنون الذين ترجموا إيمانهم إلى منهج يطبقونه .

شروط النصر :

1 ـ الإيمان بالله تعالى :

لذلك الشرط الأول أن نؤمن بالله الإيمان الذي يحملنا على طاعته ، وأن نؤمن باليوم الآخر الإيمان الذي يمنعنا أن نؤذي مخلوقاً ، فالإيمان ما لم يترجم إلى امتناع عن معصية ، وما لم يترجم إلى امتناع عن إيذاء العباد لا يعد إيماناً صاحبه ناجٍ عند الله عز وجل .

الشرط الأول للنصر ، أو أحد أسباب النصر الكبرى ، والنصر له شرطان الأول والثاني ، وكلاهما شرط لازم غير كافٍ ، فلابد من أن نؤمن الإيمان الذي يحملنا على طاعة ، ولا بد من أن نعد لأعدائنا العدة المتاحة .

لذلك الدليل الأول :

(وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)

آية ثانية :

(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)

آية ثالثة :

(وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)

إذا كانت جنديتنا لله فالنصر قريب .

2 ـ الإعداد :

أما الشرط الثاني قال تعالى :

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)

(سورة الأنفال الآية : 60)

آية دقيقة جداً ، هذا أمر إلهي

(وَأَعِدُّوا لَهُم)

وعند علماء الأصول كل أمر في القرآن الكريم وصحيح السنة يقتضي الوجوب ، ما لم تقم قرينة على خلاف ذلك ، أمر في القرآن الكريم ، وفي السنة الصحيحة يقتضي الوجوب ، فإذا قال الله لك :

(وَأَعِدُّوا لَهُم)

نحن نتوهم مع الأسف الشديد أن الدين عبادات شعائرية فمن صلى ، وصام ، وحج ، وزكى يتوهم أنه انتهى كل شيء ، الدين منهج تفصيلي كما قلت سابقاً يبدأ من أشد العلاقة خصوصية من الفراش الزوجية ، وينتهي بالعلاقات الدولية ، الدين منهج متكامل ، ولا أبالغ قد يصل إلى خمسمئة ألف بند ، هذا الدين .

فلذلك حينما قال الله عز وجل :

(وَأَعِدُّوا لَهُم)

هذا جزء من الدين أن تعد للأعداء القوة لذلك الآية الكريمة :

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ)

كلمة

(مَا اسْتَطَعْتُمْ)

فيها رحمة بالغة ، الله عز وجل ما كلفنا أن نعد العدة المكافئة لأعدائنا ، لا أبداً ، كلفنا أن نعد العدة المتاحة ، وهذا من كرم الله علينا ، والله عز وجل يتولى ترميم النقص ، ما دمنا صادقين ، هذه الآية تلقي الأمل في قلوب المؤمنين

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ)

للطرف الآخر الذي يعاديكم

(مَا اسْتَطَعْتُمْ)

ضمن الوسع ، العدة المتاحة لكم .

(وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ)

(سورة الأنفال الآية : 60)

الحكمة من مجيء كلمة قوة نكرة :

جاءت كلمة قوة نكرة ، وهذا التنكير اسمه عند علماء البلاغة تنكير شمولي يعني أعدوا لهم كل أنواع القوة ، وهذه القوة تتبدل من وقت إلى وقت ، ففي عهد النبي كانت القوة من رباط الخيل ،

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)

كي يفهم الصحابة ما معنى القوة ، جاء عطف الخاص على العام عند علماء الأصول ، يعني وقتها أن تعد المركوب والسلاح ، قد يأتي وقت العدة مدرعة ، وقد يأتي وقت العدة صاروخ ، قد يأتي وقت العدة طائرة ، وقد يأتي وقت العدة قمر صناعي ، وقد يأتي وقت العدة الإعلام ، الإعلام قوة الآن بل أقوى قوة في الأرض الإعلام ،

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)

كي نفهم معنى القوة ،

(وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ)

من أجل ماذا ؟ من أجل أن تردعوا أعداءكم أن يفكروا بمقاتلتكم

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ)

(تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)

(سورة الأنفال الآية : 60)

الدين الذي يرتضيه الله عز وجل هو الدين الذي وعد بتمكينه :

أيها الأخوة ، في القرآن الكريم ثمنان للنصر ، شرطان للنصر ، كل منهما شرط لازم غير كافٍ ،

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)

أيها الأخوة ، ولكن ، لو حللنا واقع المسلمين ، حينما يقول الله عز وجل :

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)

وكأنه قانون ، كأنه سنة إلهية ،

(وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ)

سؤال : أي دين وعد بتمكينه ؟ الحقيقة الدين الذي يرتضيه الله عز وجل .

فلذلك ينبغي أن نفهم الإسلام فهما عميقاً ، أن نفهمه التزاماً ، أن نفهمه طاعة لله ، أن نفهمه بذلاً وتضحية ، أن نفهمه عقيدة صحيحة ، أن نفهمه التزاماً ، حينما نفهم الدين كما أمرنا الله عز وجل عندئذٍ نكون قد قدمنا لله سبب النصر .

الناس في مأمن من عذاب الله تعالى مادامت سنة النبي الكريم مطبقة في أمورهم :

شيء آخر : الله عز وجل يقول :

(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا)

نحن طبعاً لسنا آمنين ، طبعاً على مجموع العالم الإسلامي ، السبب ، جاء السبب في نهاية الآية :

(يَعْبُدُونَنِي)

(سورة النور الآية : 55)

فإذا ترك المسلمون ما عليهم من عبادة ، فالله جل جلاله في حلٍّ من وعوده الثلاث ،

(يَعْبُدُونَنِي)

لقد أردف النبي عليه الصلاة والسلام سيدنا معاذ وراء ظهره ، قال : يا معاذ ! ما حقّ الله على عباده ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، سأله ثانية ، وثالثة ، ثم أجابه ، قال : يا معاذ ! حقّ الله على عباده أن يعبدوه ، وألا يشركوا به شيئاً ، شيء واضح تماماً ، لكن النقطة الدقيقة في السؤال الثاني ، قال : يا معاذ وما حق العباد على الله إذا هم عبدوه ؟ قال : الله ورسوله أعلم ، سأله ثانية ، وثالثة ، ثم أجابه فقال : حقّ العباد على الله إذا هم عبدوه ألا يعذبهم .

لذلك قال تعالى :

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ)

(سورة الأنفال الآية : 33)

أي ما دامت سنتك قائمة في حياتهم ، في بيوتهم ، في أعمالهم ، في علاقاتهم ، في كسب أموالهم ، في إنفاق أموالهم ، هم في مأمن من عذاب الله ،

(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ)

إضاعة الصلاة لا يعني تركها ولكن يعني تفريغها من مضمونها :

أيها الأخوة ، الآية دقيقة جداً ، نحن حينما نطبق منهج الله ورسوله ، نستحق ألا نُعذب ، يكون عندئذٍ لنا السيطرة ، نستعيد دورنا القيادي بين الأمم ، ننتصر ، فهذا النصر بغية كل مسلم على وجه الأرض في القارات الخمس .

إذاً الآية تقول :

(يَعْبُدُونَنِي)

والعبادة طاعة طوعية لله ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية ، الآن أتت آية ثانية :

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً)

(سورة مريم)

وقد لقي المسلمون ذلك الغي لأنهم أضاعوا الصلاة ، وقد أجمع العلماء على أن إضاعة الصلاة في الآية الكريمة لا يعني تركها ولكن يعني تفريغها من مضمونها .

((ليس كل مصلٍ يصلي))

[أخرجه الديلمي عن حارثة بن وهب]

الذي يعرف الله حقّ المعرفة ، ويلتزم بأمره ونهيه ، ويتحرك لخدمة عباده ، ويبني حياته على العطاء، عندئذٍ نقول هذا الإنسان عرف الحقيقة التي ينبغي أن يعرفها .

القلب السليم القلب الذي لا يشتهي شهوة لا ترضي الله :

لذلك

(فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ)

ومن أجمل ما قيل في موضوع الشهوات ، أن الله عز وجل حينما قال :

(يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)

(سورة الشعراء)

القلب السليم القلب الذي لا يشتهي شهوة لا ترضي الله ، والقلب السليم هو القلب الذي لا يصدق خبراً يتناقض مع وحي الله ، والقلب السليم هو القلب الذي لا يُحكم غير شرع الله ، والقلب السليم هو القلب الذي لا يعبد إلا الله .

من أقام أمر الله فيما يملك كفاه الله ما لا يملك :

أيها الأخوة الكرام ، حقيقة ثانية : لو أن إنساناً له دائرة أمره نافذ بها ، وهو ودائرته في دائرة كبيرة جداً فيها أقوياء ، وطغاة ، وأعداء ، نقول لهذا الإنسان : أقم أمر الله فيما تملك يكفك ما لا تملك ، بمعنى الله عز وجل يقول :

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)

(سورة الرعد الآية : 11)

لقول الإنسان هنا جزء من مساحة كبيرة ، فيها أقوياء ، وفيها طغاة ، وما إلى ذلك حتى يغير ما بنفسه، أنت ماذا تملك ؟ تملك بيتك ، وتملك عملك ، فإذا أقمت أمر الله فيما تملك كفاك ما لا تملك .

الصبر مع الطاعة طريق النصر والقهر مع المعصية ليس بعدهما إلا القبر :

أيها الأخوة ، شيء آخر :

(وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)

(سورة إبراهيم)

دقق ، إله عظيم يصف مكر الطرف الآخر بأنه تزول لهوله الجبال ، يا ترى نحن أهل الأرض مجتمعين ، قوى الأرض مجتمعة ، هل تستطيع أن تنقل جبلاً صغيراً من مكان إلى آخر ؟ لا تستطيع ، وكأن الله سبحانه وتعالى يبين لنا أن مكرهم عظيم ،

(وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ)

فلذلك يقول الله :

(فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ)

(سورة إبراهيم)

لكن في آية فيها كلمتان ، في هاتين الكلمتين حل مشكلات العالم الإسلامي بأكمله قال :

(وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً)

(سورة آل عمران الآية : 120)

(وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا)

الصبر مع الطاعة طريق النصر ، أما الصبر أي القهر مع المعصية ليس بعدهما إلا القبر ، هذه حقيقة ثانية .

أنواع النصر :

1 – النصر الاستحقاقي :

أيها الأخوة الكرام ، الحقيقة الثالثة والدقيقة : أن هناك نصراً استحقاقياً ، قال تعالى :

(وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ)

(سورة آل عمران الآية : 123)

انتصار الصحابة في بدر نصر استحقاقي ، لأنهم دفعوا شرطي النصر ، الإيمان والإعلان .

2 – النصر التفضلي :

هناك نصر تفضلي ، كقوله تعالى :

(وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ)

(سورة الروم)

هذا نصر يفرحنا لكنه ليس نصراً استحقاقياً ، إنه نصر تفضلي .

3 – النصر الكوني :

هناك نصر كوني ، إذا كان الفريقان المتحاربان شاردين عن الله عز وجل ، بعيدين عن الله ، فالذي ينتصر هو الأقوى ، الذي معه سلاح أقوى ، معه سلاح دقة إصابته أعلى ، معه سلاح مداه المجدي أطول ، هذا الذي ينتصر ، هذا نصر كوني ، صار عندنا نصر استحقاقي ، نصر تفضلي ، نصر كوني.

4– النصر المبدئي :

هناك نصر مبدئي ، فالذي جاءته شظية ومات بها ، وهو مستقيم العقيدة والسلوك هذا انتصر ، ولكن هذا النصر ينفعه في الآخرة لأنه مات على طاعة الله ومات معتقداً عقيدة سليمة .

إذاً النصر الاستحقاقي والتفضلي والكوني والمبدئي .

وهناك حقيقة صارخة : أن الحرب بين حقين لا تكون ، لأن الحق لا يتعدد ، وأن الحرب بين حق وباطل لا تطول لأن الله مع الحق ، وأن الحرب بين باطلين لا تنتهي لأن كلاهما شردا عن الله عز وجل .

المعية العامة و المعية الخاصة :

شيء آخر : أيها الأخوة ، هناك آية دقيقة تقول :

(وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ)

(سورة الحديد الآية : 4)

قال علماء التفسير هذه معية عامة ، بمعنى أن الله مع عباده بعلمه ، مع الكافر مع المنافق ، مع الملحد، مع المتجبر ، مع الطاغية ، بعلمه ، لكن آيات كثيرة في القرآن الكريم ، من هذه الآيات :

(وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ)

(سورة الأنفال)

إن الله مع الصادقين .

(أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)

(سورة البقرة)

قال علماء التفسير : هذه معية خاصة بمعنى أن الله معكم بنصره ، وبتأييده ، وبتوفيقه ، وبحفظه ، لكن هذه المعية لها ثمن .

(وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآَمَنْتُمْ بِرُسُلِي)

(سورة المائدة الآية : 12)

إذاً نحن بحاجة ماسة إلى معية خاصة ، أن يكون الله معنا بالنصر ، والتأييد ، والحفظ ، والتوفيق .

فلذلك نحن في أمس الحاجة إلى أن نعتمد على الله ، وأن نصطلح معه .

أية أمة قوية خططت لتبني مجدها على أنقاض الشعوب فهذا يتناقض مع وجود الله :

ولكن أقول لكم أيها الأخوة : أن تستطيع أمة قوية أن تخطط لبناء مجدها على أنقاض الشعوب ، بناء حريتها على قهر الشعوب ، بناء ثقافتها على محو ثقافة الشعوب ، هذه الأمة القوية المتجبرة ، المتغطرسة ، المستكبرة ، حينما تخطط لبناء مجدها على أنقاض الشعوب ، نجاح خططها على المدى البعيد لا يتناقض مع عدل الله فحسب ، بل يتناقض مع وجوده ، لأن :

((الكبرياء ردائي ، والعظمة إزاري ، فمن نازعني في شيء أذقته عذابي ولا أبالي))

[حديث قدسي ، أخرجه ابن ماجه وابن حبان عن عبد الله بن عباس]

وما من طاغية على وجه الأرض يسمح الله له أن يكون طاغية إلا ويوظف طغيانه لخدمة دينه ، والمؤمنين ، والدليل قوله تعالى :

(وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ)

(سورة القصص)

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة المنار - الدرس (5-5) : الكلمة الطيبة ، النظام الغذائي في القرآن الكريم
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 2009-09-06

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع :
يلاحظ أن القرآن الكريم فيه آيات كثيرة ، أشارت إلى مجموعة أو عنوان من الأطعمة أو الأشربة سواء في الدنيا أو في الآخرة ، كذلك تحدث القرآن الكريم بتحليل مجموعة من الأطعمة وتحريم أصناف أخرى من الأطعمة ، دكتور في البداية لو نتعرف كيف نفهم ، أو أين نضع هذه الآيات في مجال التشريع والإعجاز التشريعي في القرآن الكريم في مجال الغذاء ؟

الأصل في الأشياء الإباحة و الأصل في العقائد والعبادات الحظر :

الدكتور راتب :
بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صاحبته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين .
الحقيقة الأولى أن الأصل في الأشياء الإباحة ، ولا يحرم شيء إلا بالدليل القطعي والثابت ، أما الأصل في العقائد والعبادات الحظر ، ولا تشرع عبادة إلا بالدليل القطعي والثابت ، إذاً حينما قال الله عز وجل:

(هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا)

(سورة البقرة الآية :29)

(قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ (32))

(سورة الأعراف)

إذاً الأصل في الأشياء الإباحة ، وحينما قال الله عز وجل :

(فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ (19))

(سورة الأعراف)

أي نسبة المحرمات من الأطعمة لا تكاد تكون واحد بالمليون ،

(وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ)

هذه الشجرة واحدة .

العلاقة بين الأمر والنهي والعلاقة بين الأمر ونتائجه وبين النهي ونتائجه علاقة علمية :

إذاً إذا قلنا الحلال كل شيء حلال عدا ما حرم الله عز وجل بمادة أو مادتين لا تزيد ولا تنقص ، فلذلك الأصل في الأشياء الإباحة ولا يحرم شيء إلا بالدليل القطعي والثابت، لكن الحقيقة الدقيقة والخطيرة أن العلاقة بين الأمر والنهي والعلاقة بين الأمر ونتائجه وبين النهي ونتائجه علاقة علمية ، بمعنى لو أن طفلاً وضع يده على المدفأة ، العلاقة بين وضع يده واحتراق اليد وهي مشتعلة علاقة علمية ، أي علاقة سبب بنتيجة ، أما إذا منع الأب أولاده أن يخرجوا من باب معين فخرج أحدهم فضربه لا يوجد علاقة علمية بين خروج إنسان من باب وضع للخروج لكن الأب منعه وضعاً ، لذلك هناك علاقة علمية وعلاقة وضعية .

أتصور أنا أن كل شيء أمر الله به العلاقة بينه وبين نتائجه علاقة علمية ، وأن كل شيء نهى الله عنه العلاقة بين النهي والنتائج علاقة علمية ، فلذلك بدافع محبة الذات ، بدافع حب وجود الإنسان ، بدافع حب سلامة وجوده ، بدافع حب كمال وجوده ، بدافع حب استمرار وجوده ، ينبغي أن يتبع تعليمات الصانع ، أي بكلمة قد لا تقال دائماً بدافع أنانيته ينبغي أن يتبع تعليمات الصانع ، لأن هذه التعليمات التي جاء بها القرآن الكريم من عند الواحد الديان ، من عند العليم ، من عند الخبير ، وهذه التوجيهات النبوية التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم ليست من خبراته ، ولا من تجاربه ، ولا من ثقافته ، ولا من اجتهاده ، ولا من معطيات عصره ، إنها وحي يوحى :

(وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى(3)إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى(4))

(سورة النجم)

الخلل في الإنسان نفسه لأنه يغير خلق الله عز وجل :

لكن النقطة التي ينبغي أن نبدأ بها هذه الحلقة حينما قال :

(الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78)وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79)وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80))

(سورة الشعراء)

عزي المرض إلى الإنسان ، لأن الإنسان خلق في أحسن تقويم ، لكن هو حينما يغير خلق الله ، حينما يأكل أطعمة محفوظة من أمد طويل ، حينما يلغي الخضار الطازجة من حياته ، حينما يلغي الفواكه يكتفي بالعصير مثلاً ، حينما يغير أصل التصميم ، تقع مشكلة .

المذيع :

الخلل هو الإنسان نفسه .

الدكتور راتب :

عزي المرض إلى الإنسان أو إلى العصر الذي نعيش به .

المذيع :

هل نستطيع أن نتحدث عن إعجاز تشريعي من خلال هذه الإشارات ، أو الآيات الواردة في مجال التربية ونحن طبعاً نتحدث بالتفصيل عن ذلك ؟ تفضل .

الإشارات والتوجيهات الصحية تتعلق تارة بالعبادة التعاملية وتارة بالإعجاز العلمي :

الدكتور راتب :

إن صحّ أن هناك مثلثاً قسم إلى أربعة أقسام ، القسم الأول هو العقائد ، إن صحت العقيدة صح السلوك وسلم الإنسان وسعد في الدنيا والآخرة ، والقسم الثاني العبادات الشعائرية من صلاة ، وصوم ، وحج ، وزكاة ، القسم الثالث : عبادات تعاملية ، المعاملات ، وتندرج هذه الآيات التشريعية المتعلقة بالغذاء في القسم الثالث في العبادات التعاملية ، والقسم الرابع الآداب ، آداب الطعام ، آداب الشراب ، آداب عيادة المريض ، فنحن عندنا عقائد وعبادات ومعاملات وآداب ، هذه تدرج في القسم الثاني لكن لها زاوية ثانية ، النبي صلى الله عليه وسلم جاء لكل البشر :

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (107))

(سورة الأنبياء)

كتابه خاتم الكتب ، فلذلك معجزة النبي تتميز بأنها علمية وليست حسية ، الأنبياء السابقون جاؤوا لأقوامهم معهم معجزات حسية ، هذه المعجزة الحسية كعود الثقاب ، تتألق وتنطفئ ، وتبقى خبراً يصدقه من يصدقه ويكذبه من يكذبه ، لكن لأن هذا الكتاب المعجز كتاب إلى نهاية الحياة وخاتم الكتب ، ولأن هذا النبي الكريم آخر الأنبياء والمرسلين ولأنه للناس كافة :

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (107))

(سورة الأنبياء)

إذاً ينبغي أن تكون معجزته مستمرة إلى نهاية الحياة ، ولن تكون مستمرة إذا كانت حسية ، ينبغي أن تكون علمية ، فلذلك في القرآن الكريم إشارات كثيرة جداً قد تزيد عن ألف وثلاثمئة إشارة ، كل هذه الإشارات تبين أن الذي خلق الأكوان هو الذي أنزل هذا القرآن الكريم، فهذه الإشارات والتوجيهات الصحية تتعلق تارة بالعبادة التعاملية ، وتارة بالإعجاز العلمي .

المذيع :

إذاً نستطيع أن نتحدث ولو أن المفسرين لم ينتبهوا إلى ذلك ، واعتبروها عبارة عن إخبار ، وليست آداباً أو توجيها .

توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم المذهلة إنما هي وحي يوحى :

الدكتور راتب :

توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم المذهلة أنه نهانا عن قطع رأس الدابة أثناء ذبحها ، لما لا نعلم ، لا يوجد مركز علمي في الأرض يستطيع أن يفسر حكمة هذا الأمر ، لا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا بعد مئة عام ، ولا بعد خمسمئة عام ، ولا بعد ألف عام ، ولا بعد ألف و أربعمئة عام ، قبل عقدين من الزمن ظهرت الحقيقة هو أن القلب ينبض ثمانين نبضة بأمر من مركز كهربائي ذاتي ، لو تعطل هذا المركز هناك مركز احتياطي ثان، لو تعطل الثاني ، هناك مركز احتياطي ثالث ، لأن القلب عضو نبيل تتعلق به الحياة لا يمكن أن يكون تحت رحمة الشبكة العامة ، له كهرباء خاصة ، لكن هذه الكهرباء الخاصة في القلب لا تعطي إلا ثمانين نبضة فقط ، والإنسان يحتاج في حياته أحياناً إلى مئة وثمانين نبضة ما الذي يحصل لا بدّ من التوضيح ، أنا أمشي في بستان ، وجدت أفعى ، ما الذي حصل؟ انطبعت صورة الأفعى على شبكية عيني ، هنا لا تقرأ الصورة ، تنتقل إلى الدماغ ، في مركز الرؤية ملف الثعابين ، جاء من تجربته ، من قراءاته ، من معلوماته ، من قصص سمعها ، هذا الملف ملف الثعابين في الدماغ مع مركز الرؤية يفسر هذه الصورة ، فالدماغ ملك الجهاز العصبي يدرك أن هناك خطراً ، يلتمس من ملكة اسمها الغدة النخامية ، ملكة الجهاز الهرموني ، هذه الملكة وزنها نصف غرام ، تفرز ثمانية هرمونات ، لو تعطل أحد هذه الهرمونات لأصبحت حياة الإنسان جحيماً لا يطاق ، فالملك الدماغ يلتمس من الملكة أن تواجه الخطر عندها وزير داخلية هو الكظر فوق الكليتين ، تعطي هذه الملكة صغيرة الحجم كبيرة المفعول أمراً إلى وزير داخليتها ، أن واجه الخطر ، هذا الكظر يرسل أمراً هرمونياً إلى القلب ، يرفع النبض لمئة وثمانين نبضة ، و يعطي أمراً هرمونياً إلى الرئتين ليزداد وجيب الرئتين ، و أمراً ثالثاً إلى الأوعية المحيطة ، تضيق لمعتها فيصفر لون الخائف ، و أمراً رابعاً إلى الكبد لإطلاق كمية سكر إضافية ، و أمراً خامساً إلى الكبد لإطلاق هرمون التجلط ، هذا يتم بثوان، الشاهد إذا ذبحت الدابة وقطع رأسها تعطل الأمر الاستثنائي لرفع النبض لمئة وثمانين نبضة ، فلا يخرج إلا ربع الدم ، وتبقى الدابة زرقاء اللون ودمها فيها ، أما إذا بقي رأسها موصولاً بها يعمل الأمر الاستثنائي عن طريق الدماغ ، الغدة النخامية ، الكظر ، إلى القلب برفع إلى مئة وثمانين نبضة ، عندئذ يخرج الدم كله من الحيوان يصبح هذا اللحم أزهر اللون .

المذيع :

أنا أسألك من المحرمات ، الدم والميتة كذلك .

الدكتور راتب :

إلا أن الدم المسفوح ، الدم المحرم مقيد أنه مسفوح ، الدم في الجسم يصفى باستمرار عن طريق الكليتين ، هناك تصفية مستمرة ، أما إذا سفح الدم فهو دم مؤذٍ جداً ، فيه كل الجراثيم والأمراض مجتمعة في الدم ، لهذا حرمه الله علينا بل حرم بقاءه في الدم ، الدابة التي لم تذكَ لا تؤكل .

المذيع :

هناك ملاحظة أخرى هو عندما نطّلع على هذه الآيات التي تتحدث عن الأطعمة ، القرآن يصف الأطعمة الحلال بأنها طيبة والأطعمة المحرمة بأنها رجز وخبيثة .

العلاقة بين الطعام الطيب وبين نتائجه علاقة علمية تطيب به النفس :

الدكتور راتب :

يا سيدي العلاقة بين الطعام الطيب وبين نتائجه علاقة علمية ، تطيب به النفس ، طعام حلال أي طعام طيب بمعنى سمح الله بأكله ، ما دام الخالق الخبير العليم قال :

(وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ)

(سورة فاطر)

سمح بأكله إذاً هو طعام طيب تطيب به النفس ، لكن الحلال له وضع ثان ، قد تأكل أطيب الطعام سمح الله به إن لم تدفع ثمنه فهو طعام حرام خبيث تخبث به النفس ، تفضلت في المقدمة أن هناك فوائد جسمية وروحية ، الطعام الحلال الذي اشتري بمال حلال هو طعام طيب ، تطيب به النفس في علاقتها بربها ، أما الطعام ولو كان في الأصل حلالاً لكن اشتري بمال حرام ، بني على أخذ أموال الناس بالباطل ، لا تطيب النفس في علاقتها مع ربها به ، أنا أريد طعاماً تطيب به النفس جسماً ونفساً .

المذيع :

الطيب إذا رجعنا إلى القرآن الكريم يقول :

(وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ (26))

(سورة النور)

لها بعد روحي ، كلمة طيبة وإنسان طيب .

الطيب من الشيء أحسنه :

الدكتور راتب :

هناك عمل طيب ، الطيب ـ كما قال علماء اللغة ـ من كل شيء أحسنه ، الطيب من الشيء أحسنه ، إنسان طيب ، هناك طعام طيب ، وهناك لقاء طيب ، وهناك بيت طيب تقام فيه العبادات ، الطيب من كل شيء أحسنه ، فلذلك الطعام الطيب هو الذي سمح الله به أولاً ، واشتري بمال حلال ، والدليل :

((يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عباس]

الطعام الطيب ما سمح الله به أولاً ، الطعام الطيب ما اشتري بمال حلال ، العلماء قالوا : حلال لذاته أو حرام لذاته و حرام لغيره ، حرام لذاته الخنزير محرم أكله ، أما لو اشترى الآن لحم غنم حلال بمال حرام صار محرماً ، فإما أن يحرم الشيء لذاته أو لغيره .

المذيع :

هنا الأمر اختلف قد يكون كما تفضلتم فليكن الطعام حلالاً ولكن اشتري بمال حرام يصبح معنوياً .

الحلال و الحرام :

الدكتور راتب :

الحقيقة ما هو المال الحرام ؟ هو مال يعد منفعة بني على مضرة كالسرقة ، كالقمار ، كاليانصيب ، كل مال أخذ بناء على مضرة ، ما المال الحلال ؟ منفعة بنيت على منفعة ، تاجر فتح محلاً تجارياً بحيّ من أحياء المدينة ، جاء ببضاعة جيدة ، باعها بسعر معتدل ، زاد على رأسماله مبلغاً بسيطاً ليعيش منه، وانتفع وكل من حوله انتفع بهذه البضاعة الجيدة بسعر معتدل ، فإذا قلنا ما الحلال ؟ هو مال جني من منفعة تقابل منفعة ، أما أي منفعة بنيت على مضرة فهي مال حرام ، فالطعام الذي سمح الله بأكله وهو حلال في الأصل إذا اشتري بمال حرام يصبح حراماً ، يقول العبد : يا رب ويا رب ، مأكله حرام، ومشربه حرام وغذي بالحرام ، فأنى يستجاب له ؟

((يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عباس]

المذيع :

هنا المضار الأخرى ، المضار الروحية للطعام الحلال ، كما تفضلتم حلال ولكن اشتري بمال حرام .

الدكتور راتب :

ما دام اشترى هذا الطعام بالمال حرام أو لم يدفع ثمنه أخذه واستغل غفلة البائع لم يدفع ثمنه أصبح حجاباً بينه وبين الله .

المذيع :

قد لا يكون مضراً على مستوى الخمر ، ولكن قد يكون مضراً .

الدكتور راتب :

لحكمة بالغة حينما قال النبي صلى الله عليه وسلم :

((يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة))

[أخرجه الطبراني عن عبد الله بن عباس]

معنى هنا الطعام الطيب ليس الطعام اللذيذ ، الطعام الطيب الذي اشتري بمال حلال ، قد تأكل أخشن طعام ، وأسوأ طعام ، اشتري بمال حلال وهو عند الله طيب ، وقد تأكل طعاماً كلف آلافاً مؤلفة ، لكنه اشتري بمال حرام ، أو لم يدفع ثمنه ، فهو طعام عند الله خبيث وحرام .

المذيع :

عند وصف المحرم بأنه رجس ، هناك إشارة بأن الأوثان رجس وأن الشرك رجس ، كيف نفهم هذه ؟

الرجس و النجس :

الدكتور راتب :

قالوا : الرجس هو النجس ، نجس لذاته لا لغيره ، بمعنى الشيء النجس يطهر ، أما النجس لا يطهر ، كذلك الرجس شيء يحجب عن الله كلياً ، الشرك بالله الطريق إلى الله غير سالك ، هناك ذنب يغفر ما كان بينك وبين الله ، وذنب لا يترك ما كان بينك وبين العباد، حقوق العباد مبنية على المشاححة ، بينما حقوق الله مبنية على المسامحة ، لكن الذنب الذي لا يغفر الشرك وهو الرجس لأن النجس لا يطهر ، هو عين النجاسة ، أنا أطهر إناء نجساً أغسله جيداً سبع مرات ، أما النجس نفسه لا يطهر ، أخطر شيء أن تأكل طعاماً يحجبك عن الله ، مرة سألني إنسان لماذا الخنزير محرم ولماذا خلقه الله أصلاً ؟ خطر في بالي أن في البيت مكنسة ، هذه تؤكل ؟ قد يقول أحدهم لماذا اشتراها صاحب البيت ؟ اشتراها ليكنس بها الأرض ، وكذلك الخنزير أطيب طعام عنده الجيف ، حينما تموت قطة أو كلب في الفلاة رائحتها لا تحتمل ، يأتي الخنزير ويأكلها كأطيب طعام ، يأكل الجرذان الميتة ، يأكل الخنازير، الخنزير مهيأ لحل مشكلة في الأرض لا لأكله ، وأحياناً الحرام يأتي من سوء الحرام .

المذيع :

سنتحدث عن ذلك ونعود ، بالنسبة للأطعمة الحلال نجد أن القرآن الكريم أشار إلى مجموعة من

الأطعمة ، في سياق آيات وأحاديث خاصة ، واعتبرها أطعمة ذات فائدة مهمة ، مثل التين والزيتون ، سؤالنا أولاً قبل أن نتحدث عن هذه الأطعمة ، لماذا اختصر القرآن الكريم فقط على هذه الأصناف ولم يذكر أصنافاً أخرى مع أن الأطعمة كثيرة جداً ؟

النظام الغذائي في القرآن الكريم و من هذه الأغذية :

1 ـ القمح :

الدكتور راتب :

هناك اجتهاد في تفسير هذه الآيات ، أن هذه الأصناف لها ميزات كبيرة جداً ، مثلاً القمح جاء في القرآن الكريم كالسنابل ، معلوماتي الدقيقة أن هذه القمحة لها وزن ، لها غلاف خارجي ـ قشرة خارجية ـ ولها رشيم ، ولها قشرة داخلية ، مجموع هذه الأشياء الثلاثة لا تزيد عن أربعة عشر في المئة من وزنها ، لكن كل الفيتامينات وكل المعادن وأشباه المعادن وكل الفوائد في هذه الأربعة عشر جزءاً من مئة غرام ، مثلاً هناك ستة فيتامينات بالقشرة ، هناك مادة فسفورية تعد غذاءً للدماغ ، في الحديد يهب الدم قوة وسلامة ، في الكالسيوم يبني العظام ، السيلكون من أجل الشعر ، اليود للغدة الدرقية ، البوتاسيوم والصوديوم والمغنيزيوم ، كل هذه المعادن وهذه الفيتامينات كلها في القشرة نطعمها للدواب ونأكل النشاء وهو غراء جيد للمعدة ، وقد قيل : احذروا الأغذية البيضاء الثلاث ، الطحين الأبيض والسكر الأبيض والملح الأبيض ، نحن نعطي الدواب أفضل ما في القمح ، الفيتامينات الستة ، وكل هذه المعادن موجودة في قشر القمح ، ننخل القمح ونعطي هذه القشور للدواب ونأكل الغراء الذي يسبب متاعب لا تنتهي في جهاز الهضم ، مع أن هذا القشر لا يمكن أن يسبب إمساكاً ، والإمساك يسبب خمسين مرضاً بالإنسان ، لا يمكن أن يكون إمساك مع تناول القمح بقشره ، أي النخالة ، و النبي صلى الله عليه وسلم ما أكل خبزاً منخولاً أبداً ، بل قال بعضهم : أول بدعة ابتدعها المسلمون بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم نخل الدقيق ، الله عز وجل صمم هذا القمح لنأكله بكامله ، إذاً هناك معادن ، فيتامينات ، مواد هذا بالقمح ، فهذا من إعجاز القرآن الكريم ، جعل هذا القمح غذاءً كاملاً .

2 ـ الحليب :

القمح والحليب ، الحليب النبي صلى الله عليه وسلم :

((اللَّهمَّ بارك لنا فيه وزِدْنا منه))

[ابن ماجه عن ابن عباس]

الغدة الثديية في البقرة عبارة عن قبة يجري فوقها شبكة أوعية دموية دقيقة جداً ، الخلية الثديية حتى الآن لا يعرف كيف تختار من الدم الفيتامينات ، والمعادن ، والمواد الدسمة، والشحوم ، والبروتينات ، نسب رائعة جداً تتناسب مع حاجة الإنسان ، هذه الغدة الثديية ترشح نقطة حليب تتجمع في ثدي البقرة في الضرع ، هذا الضرع لئلا يتمزق مدعم من الداخل بجدارين متعاكسين ، في أربع حلمات ، لو أن لكل شاب أربعة أخوة لهم بقرة ، يأخذ كل شاب من إحدى الحلم ربع الكمية تماماً ، وحتى الآن لا أحد يعلم هذه الغدة الثديية كيف تأخذ من الدم ما يروق لها ، فوقها يجري الدم ، بل قال بعض العلماء : أربعمئة حجم من الدم يساوي حجم حليب واحد . فالحليب من آيات الله عز وجل :

(مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (66))

(سور النحل)

الغدة الثديية هناك دم ، وهناك فرث ، أي هناك مواد ضارة ، يطرحها الإنسان عن طريق الكليتين ، فهذه الغدة الثديية تأخذ من الدم ما يناسبها .

(لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ)

المذيع :

سنقف مع فاصل ونتابع هذا الحوار ، أهلاً بكم مجدداً لنتابع هذا الحوار مع الدكتور محمد راتب النابلسي عن النظام الغذائي في القرآن الكريم ، دكتور الآن قبل الفاصل تحدثنا عن القيمة الغذائية للقمح وكذلك الحليب ، لماذا القرآن الكريم أشار إلى هذه الأغذية ولم يشر إلى أغذية كبيرة جداً ، وهناك من الأغذية والأطعمة القرآن الكريم أشار إلى فائدتها مثل العسل ، قال : فيه شفاء للناس .

3 ـ العسل :

الدكتور راتب :

الحقيقة أن العسل صيدلية ، تقريباً يوجد سبع وستون مادة غذائية من أعلى مستوى، وكيلو العسل يحتاج إلى طيران أربعمئة ألف كيلو متر ، لو أن نحلة واحدة طارت حول محيط الأرض أربعمئة ألف مرة تصنع كيلو عسل ، العسل كما قال الله عز وجل عنه :

(فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ (69))

(سورة النحل)

كلمة شفاء أي شيء من خالق الكون ، شيء مذهل ، الحقيقة مجتمع النحل من آيات الله الدالة على عظمته ، النظام الاجتماعي فيه مذهل ، فيه عاملات وفيه ملكة وفيه ملك وفيه لكل عاملة وظيفة ، وفيه

عاملات حارسات ، و فيه عاملات منشطات ، و فيه عاملات للتهوية ، وعاملات للتنظيف ، وعاملات لثقب الجدران ، وعاملات للصيد ، هذا العسل أولاً لا يقبل الفساد إطلاقاً .

شيء آخر : لا يفسد ، فتركيز المادة السكرية فيه عالية جداً ، بحيث لو أن جرثوماً وصل إليه لامتصه، هو معقم ، الآن في العمل الجراحي يضعون العسل على الجرح، يسرع التئام الجرح به ، العسل فيه سكريات ، فيه فيتامينات ، فيه معادن ، فيه أشباه معادن ، فيه تفصيل له مذهل ، هذا من خلق الله عز وجل ومن آيات الله الدالة على عظمته ، هو الغذاء ، فيه شفاء وآلية العمل في مملكة النحل ، النحلة لا يمكن أن تدخل لغير خليتها السبب أن هناك كلمة سر لكل خلية ، فلو لم تحفظ هذه الكلمة تقتل ، فلا بد من حفظ هذه الكلمة ، ومن حين لآخر تبدل كلمات السر ، هناك آلاف الخلايا في الحقل ما من نحلة إلا وتدخل إلى خليتها عن طريق كلمة السر .

المذيع :

نظام دقيق جداً .

الدكتور راتب :

نظام دقيق جداً ، وهناك ملكة مشرفة ، حينما تحمل من الذكر تضع بيوض الملكات في مكان ، وكأنها تعلم مسبقاً ما الذي سيكون من نتاج هذه الولادة ، تضع الذكور في مكان والعاملات في مكان ، من آيات الله الإعجازية في النحل أن الله عز وجل قال ، النحلة جاءت مؤنثة :

(وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا(68))

(سورة النحل)

(اتَّخِذِي)

فخوطبت النحلة ، ياء مؤنثة مخاطبة ، من كان يعلم وقتها أن التي تصنع العسل هي أنثى ؟ هذا من إعجاز القرآن الكريم ، وهناك مؤلفات في مصر اطلعت عليها ، كتاب بأكمله عن إعجاز الآية ، كلمة كلمة حرف حرف ، نحن نريد التفصيل لكن الوقت لا يسمح .

المذيع :

هذا بالنسبة للعسل ، كذلك التين والزيتون .

4 ـ الزيت :

الدكتور راتب :

شيء مذهل النبي صلى الله عليه وسلم قال :

((كلوا الزيت فإنه مبارك وائتدموا به وادهنوا به ، فإنه يخرج من شجرة مباركة))

[الدارمي عن أبي أسيد الأنصاري]

العلماء قالوا : " زيت الزيتون أسهل أنواع الزيوت هضماً ، فيه قيمة وقائية وعلاجية وغذائية ، زيت الزيتون يخفض الكولسترول الضار، ويرفع الكولسترول النافع ، زيت الزيتون مضاد لضغط الدم المرتفع ، أي يعالج الضغط بزيت الزيتون ، زيت الزيتون مضاد لمرض السكر ، زيت الزيتون فيه وقاية للشرايين والأوعية ، عمر الإنسان بعمر شرايينه ، لو أن إنسان نجا من كل الأمراض الخبيثة والعضالة والمميتة كيف يموت ؟ يموت بتصلب الشرايين ، و زيت الزيتون يطيل عمر الشرايين أي يكسبها مرونة فائقة جداً ، لذلك لوقاية الشرايين والأوعية من التصلب وترسب المواد الدهنية في الشرايين هذا من مهمة زيت الزيتون .

المذيع :

طبعاً لا نستطيع أن نفصل كثيراً فقط الإشارة .

الدكتور راتب :

الإشارة الأخيرة مئة غرام من الزيتون فيها بروتينات ، وفيها دسم ، وفيها بوتاسيوم ، وكالسيوم ، ومغنيزيوم ، وفسفور ، وحديد ، ونحاس ، وكبريت ، وهناك ألياف ، وغني بأهم الفيتامينات ، شيء مذهل في زيت الزيتون ، لذلك يعد الغذاء الأول ، هناك بحث في أمريكا يؤكد أن أفضل غذاء في العالم غذاء الشرق الأوسط ، لأنه يعتمد على زيت الزيتون .

المذيع :

طبعاً هذا الكلام أعتقد نفسه نقوله بالنسبة للتمر وللتين وللرمان .

5 ـ الرمان :

الدكتور راتب :

الرمان أستاذ محمد شيء مذهل ، مذيب للمواد الدهنية ، من أكل الرمان بكثرة ـ حمض الرمان يذيب المواد الدهنية في الدم ـ كأنه يطيل أمد فتحة شرايينه الممتازة ، أحياناً هناك مواد دهنية تترسب على جدران القلب ، للتقريب النبي عليه الصلاة والسلام :

((أذيبوا طعامكم بذكر الله والصلاة ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم))

[أخرجه الطبراني عن عائشة أم المؤمنين]

هذا الحديث فيه إعجاز الإنسان إذا أكل ونام القلب ينزل نبضه من ثمانين نبضة إلى خمس وخمسين نبضة ، فإذا ضعف النبض يمشي الدم بطيئاً في الجسم ، فإذا مشى بطيئاً ترسبت بعض المواد الدهنية في الجدران ، فإذا ترسبت تصلب الشريان ، الشريان في الأساس مرن ، الشريان قلب آخر ، فعندما

ينبض القلب الشريان مرن يتجاوب معه فيتوسع ، ولأنه مرن ينقبض ، يتوسع وينقبض صار قلباً ثانياً .

المذيع :

لا ينصح بالأكل بالليل وخاصة الدسم .

الدكتور راتب :

أبداً ضع يدك هنا تحس أن هناك نبضاً ، الشريان مرن ، يتوسع وينقبض ، إذا توسع وانقبض صار قلباً آخر فجميع الأوعية هي قلوب ، فما دام الشريان مرناً فالقلب مرتاح، فإذا تصلب الشريان من ترسب المواد الدهنية عليه تعب القلب :

((ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم))

[أخرجه الطبراني عن عائشة أم المؤمنين]

أنا أنصح الأخوة المشاهدين الوجبة الرئيسة الأولى طعام الصباح لأن بعده هناك ثماني ساعات عمل ، العلماء يقترحون أن يأكل الإنسان نصف كمية الطعام صباحاً ، وخمسة وثلاثين بالمئة ظهراً ، وخمسة عشر بالمئة مساءً لكن قبيل أن ينام بأربع ساعات ، وإلا هناك مشكلة :

((أذيبوا طعامكم بذكر الله والصلاة ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم))

[أخرجه الطبراني عن عائشة أم المؤمنين]

المذيع :

هذا بالنسبة للأطعمة الحلال الطيبة ، القرآن الكريم كذلك في نص حرم الدم ، لحم الخنزير ، الميتة ، وكذلك الخمر ، لماذا حرم القرآن الكريم هذه الأطعمة ؟

الحكمة من تحريم الله عز وجل بعض الأطعمة :

الدكتور راتب :

بصراحة لو لم يكن هناك محرمات لن يكون هناك تكليف ، نحن جئنا إلى الدنيا كي ندفع ثمن الآخرة ، أتصور إن لم يكن هناك شيء محرم إطلاقاً لما وجدت الجنة ، الله عز وجل أباح لنا كل شيء وحرم علينا أشياء محدودة ، بربك كم نوع عصير في الأرض الآن ؟ هناك آلاف أنواع العصائر ، الله حرم علينا الخمر ، لأنه يذهب بالعقل ، ولو جمع الشر كله في بيت لكان مفتاحه السكر ، يروون قصة سريعة أن إنساناً خيروه بين أن يشرب الخمر وبين أن يزني وبين أن يقتل فاختار بفهمه السقيم أهون شيء ، فلما شرب الخمر زنا وقتل ، المشكلة أنه جمع الخمر كله في بيت مفتاحه السكر .

شيء آخر يهمنا الآن العالم يتجه نحو الإسلام ، عند المسلمين حالة اسمها الأمن العقدي ، ما من حدث يقع في العالم إلا و يؤكد عظمة هذا الدين ، فانهيار النظام المالي يؤكد عظمة هذا الدين ، الآن العالم

الغربي يبحث بالنظام الإسلامي المالي ، الآن الاتحاد السوفيتي قبل أن ينهار حرم الخمر تحريماً كاملاً، والآن حرموا النوادي الليلية قبل أسبوع أو عدة أسابيع .

المذيع :

من الجرائم الكثيرة .

ما من حدث يقع في العالم إلا و يؤكد عظمة هذا الدين :

الدكتور راتب :

الغرب أو الشرق يقترب من الدين لا عن عبادة ولكن عن مصلحة ، الدين منهج خالق الأكوان ، الحقيقة كانت الكتل المبدئية في العالم ، الشرق والغرب والإسلام ، فالشرق آمن بالمجموع وسحق الفرد أحياناً ، والغرب آمن بالفرد ولم يهتم بالمجموع ، والإسلام منهج خالق الأكوان ، الذي حصل أن الشرق تداعى من الداخل وانتهى الأمر ، بقي الغرب والإسلام، فالغرب قوي جداً ، وذكي جداً ، وغني جداً ، وطرح قيماً سابقة رائعة جداً ، خطف بها أبصار أهل الأرض ، أما بعد الحادي عشر من أيلول كان الغرب حضارة فأصبح قوة غاشمة ، ولم يبقَ على سطح المبادئ والقيم إلا الإسلام ، لذلك قال بعض علماء الغرب الذين هداهم الله إلى الإسلام : " أنا لا أصدق أن يستطيع العالم الإسلامي اللحاق بالغرب على الأقل في المدى المنظور ، لاتساع الهوة بينهما ، ولكنني مؤمن أشد الإيمان أن العالم كله سيركع أمام أقدام المسلمين لا لأنهم أقوياء ولكن لأن خلاص العالم في الإسلام " .

المذيع :

نعلم كما تفضلت أن كثيراً من الدراسات كشفت عن خطورة الخمر عشرات بل مئات الأمراض ، الخنزير أعتقد أن العالم يتجه إلى تحريمه .

المؤمن ينصاع لأمر الله عرف حكمته أم لم يعرف :

الدكتور راتب :

والله من آيات الله الدالة على عظمته هناك أنفلونزا الخنازير التي تنتقل إلينا عبر الخنازير ، الآن هناك نفور من هذا اللحم كبير جداً ، على كلٍّ من حيث علم الأصول علة أي أمر أنه أمر ، أنت لك طبيب تثق به ثقة غير محدودة ، قال لك : دع الملح ، هذا الكلام من عالم كبير ، من عالم مخلص كلامه أمر ، بالمناسبة هناك ملاحظة مهمة جداً كلما عرفت التفاصيل قلت قيمة العبادة في الأمر ، أنت حينما تقول لابنك : نظف أسنانك يا بني ، الهدف واضح ، فإذا قام نظف أسنانه فعل شيئاً لصالحه ، أما طعام نفيس

وهو جائع لا تأكل يا بني ، يقول لك : حاضر سمعاً وطاعة ؟! فكلما توضحت حكمة الأمر ضعفت نسبة العبادة فيه ، أما الأمر الذي لا يحتمل اذبح ابنك ـ سيدنا إبراهيم ـ قال : يا أبتِ افعل ما تؤمن ، فأنا أقول: المؤمن ينصاع لأمر الله عرف حكمته أم لم يعرف ، لأنه أمر وعلة أية أمر أنه أمر ، أنا أذكر قصة أن أحد علماء دمشق سافر إلى أمريكا ، والتقى مع إنسان من هذه البلاد أسلم حديثاً، ودار بينهما موضوع عن مضار لحم الخنزير ، وهذا العالم الدمشقي أفاض ساعة أو أكثر في الحديث عن مضار لحم الخنزير ، وعن الدودة الشريطية ، وكيف انتقال صفات الخنزير إلى آكليه ، والخنزير يجامع أنثاه أمام الكل ، لا يوجد شيء اسمه خجل عند الخنزير، يجامع أنثاه على مرأى من كل من حوله ، هناك حيوانات لا تجامع الأنثى إلا بمكان لا يراهم أحد كالجمل ، فالنتيجة هذا العالم الدمشقي فصل تفصيلاً غير معقول عن لحم الخنزير ، فما كان من هذا الذي أسلم حديثاً إلا أن قال له : كان يكفيك أن تقول لي: إن الله حرمه .هذا هو الإيمان ، لذلك قالوا : علة أي أمر أنه أمر .

المذيع :

نقطة مهمة أعتقد أن البحوث والدراسات تؤكد التذكية أو الذبح ، الإسلام حرم الميتة و المنخنقة .

الإسلام حرم الميتة و المنخنقة لأن كل هذه المحرمات دمها فيها والدم مجمع الجراثيم :

الدكتور راتب :

لأن كل هذه المحرمات دمها فيها ، والدم مجمع الجراثيم والأوبئة والأمراض ، لذلك لا يصح أن نأكل إلا الدابة المزكاة ، أنا لي صديق سافر إلى الصين ليشتري لحماً للقطر، فطلب ذبحاً بهذه الطريقة كما ذكرت التكبير وأن يبقى رأس الدابة مربوطاً ، فقالوا : إن كنت تريد هذه الطريقة بالذبح سنرفع السعر مبلغاً معيناً ، قال لمَ ؟ قال : يوجد ثمانية لترات دم تخرج من الدابة بهذه الطريقة ، معنى هذا أن معظم مسالخ العالم تعلق الدابة من أرجلها ويقطع رأسها كلياً يخرج من الدم تقريباً الخمس ، أما حينما يبقى الرأس موصولاً وتذبح من أوداجها كما وجه النبي عليه الصلاة والسلام الدم كله يخرج ، قد يقول قائل: السمك نأكله من دون ذبح لحكمة بالغة بالغة ، حينما نصطاد السمك ينتقل دمه كله إلى غلاصمه وكأنه ذبح .

المذيع :

طبعاً النظام الغذائي هناك بحوث مهمة الآن تكتشف أو تحاول اكتشاف هذا النظام بالتفصيل ، والوقت لا يسعنا للحديث عن كل هذه القضايا فقط إشارات ، القرآن الكريم حينما وصف نعيم أهل الجنة وأكل أهل الجنة ، قال تعالى :

(وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ)

(سورة الواقعة)

هنا بعض الباحثين قال : هذه الآية وغيرها تشير إلى الكثير من الحقائق الغذائية ، القرآن قدم الفاكهة على اللحم ولم يذكر أن هناك لحم الغنم والبقر بل قال لحم الطير ؟

الحكمة من تقديم القرآن الكريم الفاكهة على اللحم :

الدكتور راتب :

سيدي أنت حينما تأكل التمرة فيها سكر فواكه ، هذا السكر ينتقل من الفم إلى مركز الشبع إلى الدم بعشر دقائق ، الإنسان متى يشبع ؟ بإحدى حالتين ، إذا تنبه مركز الشبع أو امتلأت المعدة ، فإذا بدأت الطعام بفاكهة ، بتمرة ، بتفاحة ، بعنب ، سكر هذه الفاكهة ينتقل من الفم إلى الدم بعشر دقائق إلى مركز الشبع ، فالإنسان مهما كان جائعاً إذا بدأ طعامه بالفاكهة تخف حدة الجوع ، فكان النبي عليه الصلاة والسلام في رمضان يأكل تمرات ويصلي المغرب ، فإذا جلس على الطعام جلس مرتاحاً وكأنه شبع ، لأن سكر الفاكهة أسرع مادة غذائية تصل لمركز الشبع ، أما لو بدأ الإنسان بالطعام لا يشبع إلا إذا امتلأت المعدة ، هذه مشكلة الصائم إذا ما بدأ بالتمر وصلى المغرب يأكل كثيراً بعدئذ تتعب عضلاته كثيراً .

المذيع :

كم وكيف إذا بدأنا بالتمر أو بالفواكه ؟

الدكتور راتب :

أنا كنت في البرازيل لا يبدؤون إلا بالفاكهة ، وفي ألمانيا و بريطانيا و الهند في هذه الدول معلوماتي الدقيقة لا يبدؤون الطعام إلا بالفاكهة ،

(وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ)

إشارة.

المذيع :

نحن نبدأ بالطعام .

الدكتور راتب :

لا نشبع إلا إذا امتلأت المعدة ، بينما لو بدأت بالفاكهة تشبع بعد عشر دقائق ، تصل المادة السكرية إلى مركز الشبع .

المذيع :

هذا القرآن الكريم لم يشر إلى لحم البقر والإبل ، ولكن في الجنة قال لحم الطير.

الدكتور راتب :

ذكر اللحم الطري وهو السمك ، ولحم الطير له طعم خاص جداً ، هذا من باب التميز جداً ، هذا التوجيه .

المذيع :

بالنسبة للأشربة في القرآن الكريم أشار إلى مجموعة من الأشربة ، وأشار إلى الزنجبيل .

فائدة الزنجبيل :

الدكتور راتب :

كل أدوية القلب في الزنجبيل ، فيه مادة مقوية ، مادة مميعة للدم ، مادة موسعة للشرايين ، مادة تقوي عضلة القلب ، ومادة تعين على توسع الشرايين ، ومادة تعين على تمييع القلب ، ومعظم أدوية القلب توسيع الشرايين وتمييع الدم وتقوية عضلة القلب ، في الزنجبيل أنا أتمنى أن يأخذه الإنسان كل يوم بطريقة أو بأخرى ، إما مع الشراب ، أو مع السلطة ، أو مع أشياء كثيرة .

المذيع :

هل نستطيع من خلال هذه الإشارات في القرآن الكريم أن نكتشف نظاماً غذائياً نقول عنه : نظام غذائي إسلامي صحي على المستوى الجسدي ، وكذلك على المستوى النفسي، لاحظنا أن البعد الروحي موجود .

توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام الدقيقة في تناول الطعام و الشراب :

الدكتور راتب :

أنا بلغني أن في ألمانيا مستشفى كتب على بنائها من الخارج :

" نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع " .

محمد بن عبد الله

عدّ هذا الحديث أصلاً في الطب الوقائي ، الحقيقة توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام :

((مصوا الماء مصاً ، ولا تعبوه عباً فإن الكباد من العب))

[أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث انس بالشطر الأول، ولأبي داود في المراسيل من رواية عطاء بن أبي رباح "إذا شربتم فاشربوا مصا]

من أكل التراب فقد أعان على قتل نفسه ، لا بد من غسل الفاكهة ، من أكل التراب بمعنى لم يغسل الفاكهة ، أنا أقول : توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام توجيهات مذهلة ، الآن هناك كتب كثيرة ، الطب النبوي ، تبين توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام الدقيقة في تناول الطعام ، في الاعتدال في أكل الطعام ، لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع ، نقوم من الطعام ونحن نشتهيه ، اجلس إلى الطعام وأنت تشتهيه ، وقم عنه وأنت تشتهيه ، هذا توجيه النبي عليه الصلاة والسلام .

المذيع :

لا يأكل الإنسان إلا وهو جائع .

الدكتور راتب :

نعم الإدام الجوع ، الجوع يحرض الخلايا الهاضمة كأنه إدام ، فهناك توجيهات نبوية كثيرة جداً في الطعام والشراب ، أن نشرب قاعدين لا قائمين ، أن نمص الماء مصاً .

المذيع :

لماذا هذا المص ؟

الدكتور راتب :

يبدو أنه أحياناً يكون الماء بارداً ، والجسم حرارته تقدر بسبع وثلاثين درجة ، وهناك عصب حائر ، اسمه العصب المبهم أو الحائر بين المعدة وبين القلب ، فهناك حالات بالعالم كثيرة موت مفاجئ ، لذلك الإنسان إذا كان بجو حار وشرب ماء بارداً دفعة واحدة قد يموت من هذه الشربة .

المذيع :

حينما يخرجون من الحمام .

الدكتور راتب :

العصب الحائر أو المبهم هذا بين المعدة والقلب فلذلك :

((مصوا الماء مصاً ، ولا تعبوه عباً فإن الكباد من العب))

المذيع :

طبعاً نحن الآن في رمضان والنظام الغذائي يختل ومع أنه شهر صوم ؟!

الصوم وقائي وعلاجي :

الدكتور راتب :

الواقع مؤلم جداً ، صار شهراً اجتماعياً ، الأطعمة المتعددة ، الولائم ، السهرات إلى ساعة متأخرة من

الليل ، إهمال صلاة الفجر ، هذا شيء مؤلم جداً ، هو شهر عبادة ، نحن برمضان نشحن شحنة لشهر ، الصلاة شحنة ، والصوم شحنة ، والحج شحنة ، شهر الصوم يشحن لعام بأكمله ، الشيء المؤلم أنه يباع أغذية في رمضان أضعاف مضاعفة ما يباع في باقي الأشهر ، مع أنه شهر الصوم ، فلذلك الولائم يومية والأكل كثير ، والأكل يضعف الجسم ، الحكمة التي أرادها الله من هذا الشهر لا تتحقق لأن هذا الشهر صيانة للجسم من حيث النواحي المادية ، حينما يجوع الإنسان الطعام العالق في زوايا الأمعاء ينجرف ، أحياناً الصوم له آثار مفيدة جداً ، والحقيقة الصوم وقائي وعلاجي ، وقائي لمعظم الأمراض وعلاجي لبعض الأمراض ، فإذا جعلنا الصوم مناسبة للطعام والشراب ، أنا أقول غير ذلك كان الطعام في النهار صار في الليل ، هناك وجبة إفطار ووجبة قبل النوم وهناك سحور ، ثلاث وجبات وكأنه لم يصم .

المذيع :

من خلال ما تقدم والإشارة إلى هذه الأصناف في القرآن الكريم كيف نستفيد منها في الأكل في رمضان ؟

الأصناف في القرآن الكريم كيف نستفيد منها في الأكل في رمضان ؟

الدكتور راتب :

والله أنا أتمنى أن يأكل الصائم في طعام الإفطار تمرات ثلاث ويصلي المغرب ، سكر التمر ينتقل في عشر دقائق فقط من الفم إلى مركز الشبع في الدماغ ، لذلك العشر دقائق هي صلاة المغرب ، بعد هذه الدقائق العشر يشعر الصائم أنه شبع ليس بشكل كلي ولكن لم يعد هناك نهم لا يحتمل ، لم يعد هناك ألم شديد ، أكل تمرات ثلاث وشرب كأس ماء وصلى ، ينبغي أن يأكل طعاماً خفيفاً .

المذيع :

الإسلام ركز على السحور ما السبب ؟

تركيز الإسلام على السحور :

الدكتور راتب :

لأن معه صلاة فجر ، الله عز وجل أراد أن تصلي الفجر في جماعة ثلاثين يوماً ورد في بعض الأحاديث :

((من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله حتى يمسي ، ومن صلى العشاء في جماعة فهو في ذمة الله حتى يصبح))

[أحمد]

((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))

[متفق عليه عَنْ أبي هُرَيْرَةَ]

صار الصيام يغفر الذنوب والقيام كذلك ، والصحة تستعيد نشاطها بسبب الصيانة التي تمت خلال شهر.

المذيع :

بعض الناس في رمضان بدل التمر يتناولون جرعات قليلة من الماء ، والآن هناك بحوث مهمة جداً حول العلاج بالماء ، والقرآن : وجعلنا من الماء كل شيء حي ، أهمية الماء.

أهمية الماء :

الدكتور راتب :

العلماء على سنوات معدودة كانوا يمنعون شرب الماء مع الطعام ، وكان هناك عالم في الشام أستاذ في كلية الطب لكنه يصر على عكس ذلك رغم كل البحوث ، ثم اكتشف أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال : ثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ، معنى ذلك أنه لا مانع من أن تشرب الماء مع الطعام ، الآن البحوث أكدته ، الماء له فائدة كبيرة ، إن صيانة الكليتين الوحيدة في شرب الماء ، يجب أن تشرب الماء بشكل مستمر لو أنك بحاجة إلى الماء أو لست بحاجة إلى الماء .

المذيع :

هناك بالإمكان أن نكتشف نظاماً غذائياً متكاملاً للصحة .

الدكتور راتب :

من تطبيق توجيهات القرآن والسنة .

والحمد لله رب العالمين

الفهرس